٥٠٠٨
٨٩٦١١

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

تعدد ٩ ، المجلد ٣٢ ، جمادى الثانية ١٤٠٨هـ

البعث الإسلامي

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص ب ٩٣ ، لكهنؤ (الهند)

Phone : 73864
REGD NO. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثا :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دور الجامعات الإسلامية المطلوب

في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة

« مقالة أعدت لمؤتمر تكوين الدعاة الذى عقدته رابطة الجامعات الاسلامية فى القاهرة فى ضيافة جامعة الأزهر و التعاون مع وزارة الأوقاف المصرية فى الفترة ما بين ٢٠-٢٢/ شعبان ١٤٠٧هـ الموافق ١٨-٢٠ أبريل ١٩٨٧م »

تقدمها إلى المسئولين عن الجامعات الاسلامية و المؤسسات التعليمية و التربوية و قادة الفكر و موجهى الشعوب و البلاد الاسلامية لما تحتوى عليه من توجيهات و تحارب و حقائق ليست مقيدة بزمان و مكان .

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء ، ص . ب ١١٩ لكناؤ ، الهند

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء -
رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

أنشأها : فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله
فى عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الاسلامى

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمى الندوى
واضح رشيد الندوى

المجلد الثانى والثلاثون ★ جمادى الأخرى ١٤٠٨هـ - يناير و فبراير ١٩٨٨م ★ العدد التاسع

المراسلات :
البعث الاسلامى مؤسسة الصحافة و النشر ، ص . ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93. Lucknow (India)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الكريم ، حفظه الله تعالى

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، وبعـــد :

فان مجلتك « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها الثانى و الثلاثين ، وهى ماضية فى جهادها المتواضع منذ أمـد بعيد ، رغم ضآلة وسائلها وقلة إمكانياتها ، و قائمة بواجبها الاسلامى على جبهة معادية مليئة بالأحقاد و الكراهية و مشحونة بوسائل الهدم و التخريب و فى بلد علمانى ليس الاسلام دينه الرسمى ، و ليست اللغة العربية لغته القومية .

فهلا نرجو منك - أيهـا القارىء الكريم - أن تشعر ببعض واجباك نحو مجلتك هذه و تتكرم ببذل شئ من وقتك الغالى فى سبيلها ، و ذلك أن تكسب لمجلتك هذه عـــدداً من إخوانك المشتركين و تتفضل بارسال اشتراكاتهم حسب التفاصيل المذكورة أدناه ، أو تقوم بانشـاء وكالة للمجلة فى بلدك أو مجتمعك الذى تعيش فيـه و تفيدنا بذلك فى أول فرصة ممكنة - نرجو أن لا يفوتك الاهتمام بهذا الموضوع الاسلامى فى أى حال ، وجزاؤك على الله الذى لا تنفد خزائنه .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : / ٥٠ روبية ، ثمن النسخة خمس روبيات .
★ فى العالم العربى :/١٥ دولاراً بالبريد السطحى ، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .
★ فى أوربا و أمريكا و إفريقيا :/١٥ دولاراً بالبريد العادى ، / ٥٠ دولاراً بالبريد الجوى .
★ فى باكستان و بنغلاديش ودول شرق آسيا : ١٥ دولاراً بالبريد السطحى ، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .

المراسلات : مكتب البعث الاسلامى ، مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
ALBAASELISLAMI - C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

المجلة لا تتقيد بكل فكر لكل كاتب ، ينشر فيها

في هذا العدد

★ **الافتتاحيـــــة**

رؤية دينية قاصرة ، مسئولية الدعاة و المفكرين — سعيد الأعظمى — ٣

★ **التوجيـــــه الاسلامى**

تأملات فى آيات من كتاب الله — فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره — ١٠

الدعوة الاسلامية فى العصر الحاضر — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٤

★ **الدعوة الاسلاميـــــة**

تجدد المشكلات التى واجهها ابن تيمية — معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى — ٢٤

بين الدنيا و الآخرة (٢) — الأستاذ السيد محمد الحسنى — ٣٠

كرامة المسلم ! — الدكتور محمد سعد الشويعر — ٣٨

وضع الأسرة فى الاسلام — الدكتور توفيق محمد شاهين — ٤٥

★ **عـــــلم النفس الاجتماعى**

الانتاجات العلمية و نشرها — فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى — ٤٧

★ **دراســـات و أبحـــاث**

مبادىء و اقتراحات لمقاومة تلفزيونات الخليج — الدكتور عبد الحليم عويس — ٦٣

★ **مشكلات معـــــاصرة**

مشاكل تدريس اللغة العربية فى الكليات . . . — الدكتور عبد العلى — ٧٠

رد على قصيدة ! — سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز — ٧٨

ملحمة أفغانستان — الدكتور عدنان على رضا النحوى — ٨١

★ **قراءة فى كتـــاب**

أحكام السجن و معاملة السجناء فى الاسلام — الدكتور حسن أبوغدة — ٨٧

★ **العالم الاســـــلامى**

بيان قيادة الاخوان المسلمين فى سورية — مكتب الاخوان — ٩١

★ **صور و أوضـــــاع**

مرحباً بالغيرة الاسلامية — واضح رشيد الندوى — ٩٤

★ **أخبار اجتماعية و ثقافيـــة**

الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن فى ذمة الله — قلم التحرير — ٩٨

ندوة علمية لرابطة الأدب الاسلامى — » » — ٩٩

ندوة علمية عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية — » » — ٩٩

ندوات ومؤتمرات حول قدسية الحرمين والحج فى الهند — » » — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة :

رؤية دينية قاصرة ، و مسئولية الدعاة و المفكرين

فى إطار التجارب التى تمربها حياتنا الفردية والاجتماعية لتوفير المكاسب من كل نوع ، فى وقت أقل و ربح أكثر ، تفوتنا تجربة المنهج الشامل للحياة ، الذى هو عطاء الاسلام لأتباعه على اختلاف الأجناس و الأوطان و الأزمان ، نحن حينما ندعو الناس إلى الاسلام ونتحدث إليهم عن مزاياه التى يتفرد بها ، ونؤكد لهم أنه دين الفطرة ودين النوع البشرى الذى يفيض له بالحيوية والسعادة وأنواع من المنح و العطايا على وجه الشمول و الكمال و الخلود ، ونحن عند ما نقوم بمقارنة نظرية بينه و بين الديانات و النظرات و الأنظمة الأخرى ، فلماذا لا نركز على تقديم أمثلة عملية لتجربة الاسلام كمنهج كامل دائم للحياة و المجتمع ، و لماذا لا نمهد الطريق لكى يتسنى للناس تطبيق تعاليمه والالتزام بشريعته فى جميع شئون الحياة الانسانية و على جميع المستويات .

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالدخول فى السلم كافة ، و الخضوع له فى كل صغير و كبير ، و لدى كل حاجة و فى كل مناسبة و كل زمان و مكان ، فمثلا إذا كان شخص يتقيد بأحكام الشريعة ويعمل بأحكامها ويطبقها على حياته فى معظم أحواله بل و بنسبة ٩٩٪ و لكنه لا يبالى بواحد فى المأة فى تصرفاته المتحررة ورغباته الجامحة ، ويرضى بمجرد هذا القدر الضئيل أن يكون فيه بمعزل عن الالتزامات الشرعية فهل يسعنا أن نحكم فيه بالدخول فى السلم كافة ، ونعتبره كامل التمثيل للاسلام عملياً ، أم أن هناك نقصاً فى حياته الاسلامية يحول دون وضعه فى صف المسلم الكامل الذى يصدق عليه قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

هـــذا سؤال يحمل أهمية قصوى و يتطلب الاجابة بشئ كثير من الوضوح والدقة ، وأظن أن الاجابة عليه فى ضوء تصرفاتنا الحاضرة وحياتنا المعاصرة تحتاج إلى تأمل فى الموضوع ، و التفكير فيه بجدية ، ذاك أن المجتمعات التى يعيش فيها المسلمون و إن كانت تتميز عن المجتمعات المادية أو مجتمعات الديانات القديمـــة و النظرات الجديدة فى كثير من الشئون و التقاليد التى تختص بالتعاليم الخلقيـة ، و العقائدية و الاجتماعية التى يوجه إليها الاسلام و يطالبهـا من أبنائه ، ولكن هناك كثيراً من الأمور الحضارية و الاجتماعية التى تضاد تعاليم الاسلام وتخدش وجه العقيدة و الايمان ، وذلك بحكم التأثيرات التى تخلفها الأفكار المادية فى عقول المسلمين أيضاً ، أو المشكلات الحضارية و العلمية التى تسبب الاتساع فى كثير من الشئون الدينية ، و بتعبير أصح : التسامح فى مجال العمل و التحرز من الشدة فى قبول فكر الآخر ، أو التفكير فيه على أقل تقدير .

غير أن دراسة الكتاب والسنة تعطينا إيماناً جازماً بأن الفكر الاسلامى الناصع لن يقبل أى شوب أو خلط من أحد ، فضلا عن أى تطوير أو تجديد ، و أن المسلم لا يكتمل إيمانه مالم يؤمن بجميع الشرائع وبكامل العقيدة فى كل جزء صغير وكبير وما لم يهتم بسد جميع مسارب النفس عن دخول أى فكر أو تصور مضاد ، بل ولا يجد فى نفسه أى لين فى شأن المفاهيم الأساسية و أى رحمة لما منع الله و رسوله عنه ، و أن يكون كل اتجاه إلى فكر مادى أو نشوء رغبة عنده فى أى مسالمة مع القوى الكافرة أو الأفكار و العقائد الباطلة المنحرفة بمثابة إلقاء نفسه فى النار ، كما قد جاءت الاشارة إلى هذا المعنى فى حديث نبوى صحيح رواه البخارى : « وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار »

وقد يكون من المسلمين ناس يستطيعون أن يفكروا فى الموضوع من وجهة نظر المعاصرة و الحداثة فى الأوضاع الحضارية و الاجتماعية ، و يروا أن ينسجموا فى بعض الأحوال الشاذة و مراعاة للصـالح العلمية و الفكرية مع تقاليد مادية ، و أساليب حضارية وفكرية تضاد الرؤية الاسلامية وتنافى تعامل المؤمنين الأولين

ممن تربوا فى ظل التربية النبوية أو تحت ظلال العقيدة الايمانية والشريعة الاسلامية الالهية ، فسوف لا يسمح لهم الدين الاسلامى بهذا التصرف الخطير ، و يعتبره نوعاً من الانحراف والحيد عن طاعة الله ورسوله « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر » .

من خلال هذا المنظار يجب أن نطل على أفراد المجتمعات الاسلامية و تصرفاتهم فى القطاعات الخاصة و العامة و ممارساتهم فى شئونهم الحيوية ، لكى نتمكن من الاطلاع على جميع ما يعيش فيه أعضاء الأمة الاسلامية من تناقض مشين بين القول و العمل و من تنافر بغيض بين الأخ و الأخ و حتى بين العالم والعالم وبين الداعية والداعية ، و من تعد للحدود فيما يخصهم من ممارسات ، و من تأويلات باردة فى نصوص الأحكام و التشريع ، و ذلك لمجرد تبرير مواقفهم نحو بعض ما فرضت عليهم الحضارة الحديثة ، إننا لا ننكر اليسر و الانسجام مع الطبيعة فى الأحكام ، و ما يتميز به الدين الاسلامى من ليونة و مرونة ومن صفاء ومسايرة مع الحياة ، غير أن أى محاولة فردية أو جماعية فى تغيير أو تيسير باسم الظروف و المصالح أو وراء ستار « الواقعية » و « الحكمة العملية » لن يرضاها أى مسلم غيور على دينه و عقيدته و من يتعمق حقيقة الاسلام و الايمان .

هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يرضى بأى حال أن يميز بين الملك والسوقة فى حق من حقوق العباد ، لافى شأن العقائد والتشريع ، مع جبلة بن الأيهم الغسانى أحد ملوك آل جفنة ، و قد كان خرج إلى المدينـة مسلماً بحشمه و أهل بيته وهم خمس مأة ، و كان لاسلامه أهمية كبيرة ، وكان سبباً لانتشار الاسلام فى رقعة واسعة من جماعته ، و باعثاً على القوة و المنعة ، و كانت مصلحة الدعوة فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ الاسلام تتطلب التسامح فى قضيـة القود للفزارى الذى وطئ إزاره فى حالة الطواف فانحل فضربه جبلة على أنفه ، وكان بالامكان إقناع الفزارى بالعفو عن القصاص ، ولكن عمر رضى الله عنه قال لجبلة بن الأيهم :

إما أن ترضى الرجل أو أقيده منك ، فتعجب جبلة من هذا الكلام و سأله عما يفعل به، فرد عليه عمر قائلا : آمر بهشم أنفك كما فعلت . فقال كيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقة و أنا ملك .

وهنا يتجلى العدل و المساواة والتصلب فى دين الله ، يقول عمر بغاية من الثقة و القوة و الايمان :

إن الاسلام جمعك وإياه، فلست تفضله بشئ إلا بالتقى و العافية ، ورغم أن جبلة استعطفه بقوله : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية ، ولكن عمر لم يتحمل أن يسمع مثل هذا الاستعطاف ، ورفض بكل قوة أن يلين أو يتنازل عن الموقف قيد شعرة ، فانبرى قائلا بشئ كثير من اليقين و الغيرة الايمانية : دع عنك هذا، فانك إن لم ترض الرجل أقدته، و رأى جبلة العزم و الصلابة و الثقة والقوة فى كلام عمر و أحس بالخطر على مكانته الملكية وعزته الكاذبة ، و لم يرض بأن يذوق لذة العدل و المساواة ونعمة الحب و الأخوة اللتين تعتبران أعظم عطاء للاسلام لأتباعه « وتعجل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارته » كما علق عليه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بعد ما علم بردته .

ونتقل الآن لبرهة من الوقت إلى الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه و ندرس موقفه الحاسم نحو قضية الردة التى حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ بمدة قليلة ، حتى نجده أشد ما يكون فى حربه ضد المرتدين ، لأنه لن يترك عقالا كانوا يودونه إلى رسول الله ﷺ ، و بصرف النظر عما كانت القضية تتعلق بركن من أركان الاسلام إلا أنه يقتفى النبى ﷺ خطوة خطوة ، ويشعر بأنه مسئول عن إبقاء هذا الدين على صورته الأصيلة النقية الكاملة التى تركه عليها رسول الله ﷺ ، فانه لن يتحمل نقص عقال من الزكاة كانوا يدفعونه سابقاً، وقد رأى نقص هذا الجزء الحقير نقصاً فى الدين ، لا يكاد يصبر عليه بل و يبذل لازالته كل قوة ويحارب لذلك إذا مست الحاجة إلى حرب ، ويقول: أينقص الدين وأناحى ! ؟

و هناك أمثلة كثيرة من التاريخ تؤكد أن طبيعة هذا الدين الكامل الذى يشهد الله بكماله، لا تكاد تتحمل أى نقص أو تنازل عن أى جزء منه مهما كان حقيراً ، ولذلك يتحتم على أتباعه أن تختلط عقيدة الكمال لدين الاسلام بلحومهم و دمائهم ويتحقق عليهم أن الاسلام لن يغنى عن ضعاف الايمان والعمل شيئاً ، و أن ما وعد الله سبحانه به من التمكين و الاستخلاف و الأمن لعباده المؤمنين إنما يتوقف على الايمان الكامل و العمل الصالح، وعلى تطبيق شريعة الله و تنفيذ أحكامه بالكمال من غير نقص أو إهمال أو لين أو مداهنة فى شئ ما .

إن دراسة جدية لحياة المسلمين فى عصرنا هذا الحديث قد تكشف لنا عن عقلية دينية قاصرة بدأت تنشأ و تتطرق إلى رؤس الناس ، حيث إن الدين أصبح عند كثير منهم تراثاً تاريخياً ، فقلما يشعرون بقيمة العقيدة فى حياة المسلم و دورها الكبير فى بناء السيرة و مستقبل الانسان و الكون ، و لم تعد لتعاليم الاسلام و توجيهات الدين ، تلك المكانة العالية التى أضفاها الله عليها وخلع عليها لباس الهيبة و العظمة و الخلود ، وهو دين الاسلام الذى لا ينحج الانسان بدون أن يعتنقه عن رضا واقتناع وثقة و إيمان ، و يعتبره مصدر العز و السعادة و العلو والغلبة ، والسمو و القوة فى كل زمان و مكان (و من يتبغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين) .

أما الذين يمثلون الدين و يتولون الدعوة إليه يعتمدون — معظمهم — على تمثيل نظرى أو قولى ، و يركزون على شرح الدين بفروعه و أصوله حيث يختفى التمثيل العملى ، و تدور دعوتهم فى حلقة مفرغة لا أول لها ولا آخر ، وهم يرون أن أسلوب القول و البيان لهو المطلوب من الداعية أو العالم ، و أن المدعو لا يحتاج إلى أن يرى نموذجاً عملياً و قدوة حية فى حياة الداعية، على أن هذا التفكير يعارض فكرة الدعوة و روح الدين ، ولو كان الأسلوب البيانى فيه الغنى و الكفاية لأداء مسئولية الدعوة والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لكان

رسول الله ﷺ أولى بهذا الأسلوب وأحق بهذه الطريقة ، ولكنه بلغ فى العمل و الجهاد وتمثيل القدوة الطيبة و الأسوة الحسنة مبلغاً أعلن عنه القرآن الكريم بكثير من الأهمية « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً » كما أن هناك اتجاها يسود فى صفوف الدعاة و العاملين نحو تنظير الاسلام و بيان محاسنه النظرية و شرحه كنظام عالمى للحياة و الاجتماع .

من المهم اللازم هو الحفاظ على الاتزان بين القول و العمل ، وإعطاء كل جانب حقه الكامل من البيان والتمثيل ، والضغط على التمسك بالاسلام ديناً ودولة ، و شريعة و عقيدة ، ومنهجاً و نظاماً ، و دستوراً و قانوناً ، دون أن يجد النقص أو الضعف طريقاً نحوه ، كل ذلك مع الاعتقاد الثابت بأنه جديد و طرى ، فيه القوة و النمو و الاطراد و الشمول ، و الجدارة الكلية باعداد العدة الكافية لبناء الانسان و مستقبله من جميع النواحى .

فاذا كان قد تسرب إلى بعض الأذهان شعور بأن هذا الدين لا يصلح للقيادة فى جميع الشئون الحضارية والانسانية اليوم ، حيث استجدت نواح كثيرة واستحدثت زوايا كانت بعيدة عن متناول العلم القديم و الحضارات السابقة ، فكيف يتدخل فيها الاسلام و يأخذ منها نصيبه من العلاج و التأثير .

إذا كان هناك مثل هذا الشعور يعيش فى بعض النفوس أو ينبعث لدى البعض حيناً لآخر ، فان ذلك يرادف الارتياب و تزعزع العقيدة الايمانية ، و ينافى معنى الدخول فى السلم كافة .

و من خلال هذه الزاوية يمكن أن نطل على فكرنا الاسلامى و ننظر إلى الحياة الاسلامية التى نعيشها على جميع المستويات ، ثم نقوم بتصحيح أفكارنا و تنقية أذهاننا فى هذا الضوء ، فان الدين عند الله الاسلام .

و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

تأملات فى آيات من كتاب الله

من وجوه الاعجاز القرآنى

بقلم : فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى

للقرآن الكريم طريقة فريدة يتميز بها من سائر الكتب التى أجمع البشر على تقديسها و تقديمها على ما سواها من الكتب التى حوت الأفكار و النظم و التشريعات فى توجيه العقل الانسانى وجهة تربوية نموذجية ، تختصر ماضى الانسان و حاضره و مستقبله البعيد أو القريب على السواء فى كلمة أو عبارة أو آية أو سورة قصيرة ، فى بيان رائع يضع الانسان وجهاً لوجه مع قمم البيان البشرى و ذراه ، فتصغر هذه القمم و الذرى ، ويظل الانسان يصعد مع هذا البيان القرآنى فى سلم الوحى حتى يصل به إلى رحاب العرش ، فيعلم على وجه اليقين أنه وحى من الوحى تعجز عنه قدرات البشر جميعها ، و يتأبى فى ذاته وآثاره على العقل الذى يصنع الآلة المفكرة ، ويفتت الذرة المدمرة ، و يرقى بالاختراع العجيب إلى أجواز الفضاء البعيده ، حيث يلامس الكواكب البعيدة فيرى فيها أعاجيب القدرة الربانية فاذا هذا البيان القرآنى يفتح أمام العقل الذى صاغ وفتت الذرة وقطع أبعاد الفضاء نوعاً من الاعجاز جديداً يؤكد فى مضمار العلم التجريبى البيان القرآنى المعجز .

و القرآن الكريم أو قل البيان القرآنى لا يستطيع العقل المدرك السليم أن

يتفلت من إعجازه إذا هو اجتاز بصاحبه عتبته ، و خالط جماله و بهاءه ، و وقع أسيراً بين يدى روعته .

وهو معجز كله كما قلنا أكثر من مرة، معجز فى أسلوبه ، معجز فى تركيبه ، معجز فى أخباره ، معجز فى طريقة أمره ونهيه ، معجز فى وعده و وعيده ، معجز فى عرض أحكامه حلالها و حرامها .

وكلما قرأه المسلم ازداد يقيناً أنه من عند الله سبحانه ، و ازداد لصوقاً به و غراماً بتلاوته و وقوفاً بالتأمل فى معانيه و ألفاظه ، ولو تيسر لغير المسلمين أن يعرفوا العربية لما كانوا أقل من المسلمين تعلقاً به و غراماً بأحكامه و تلاوته ، فيزدادوا به إيماناً ويتجلى الارتياب عن قلوبهم بصدق آياته .

و من أجل وجوه البيان فى القرآن التطابق الكامل بين آياته المتلوة المكتوبة ، و بين شواهد الكون المعروضة للنظر ، المبثوثة فى الآفاق و الأنفس و الحياة .

لكن هذا التطابق لا يظهر للانسان بمجرد معرفته به نظرية مجردة ، بل لا بد من معرفة علمية ، قائمة على أساس النظر الصادق و التدبر الواعى و المقارنة بين اللفظة القرآنية المتلوة ، و بين الشاهد الكونى المعرض فى النفس أو الحياة أو الآفاق ، فيكون الايمان الصادق الكامل بصدق آيات الكتاب ، و اليقين الصاعد فى ملكوت السماء بأنه منزل من عند الله سبحانه .

فاذا كان التدبر و النظر و المقارنة ، كان الايمان الذى يصرف القلب عن كل ما يعارض القرآن أو يعرض لآياته بالشك أو الارتياب ، قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

إنه التحدى الصارخ يقذف الله به فى وجوه الذين يريدون أن يكون القرآن نمطاً من أنماط البلاغة العقلية القائمة على أساس الموائمة بين لفظة اللسان و نظر الوجدان من عقل الانسان ، قال تعالى : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » و قال : وقل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

هكذا يأتى التحدى القاهر الباهر الذى تنقطع معه الحجج و البراهين ، و تضمحل أمامه قدرات العقل ، و تزول من أمامه كل الامكانات البشرية التى تزهو على بعضها البعض ، ولا يبقى منها شئ يقتدر به الانسان حتى على التفكير فى أمر له به تعلق ، فيتعرى عجزه ويقف شاخصاً ببصره نحو القدرة الأزلية التى تفنى كل القدرات و لا تفنى .

ليس الباطل الزاهق الذى عبر عنه القرآن بقوله « إن الباطل كان زهوقاً » هو باطل الشرك وحده، هذا باطل من الباطل الزاهق ، بل هو كل باطل ، صغر أو كبر ، و فى أى صورة ظهر ، و من أى سبل انحدر ، و على يد أى انسان كان ، فباطل الحركة ، وباطل السلوك ، وباطل الاجتماع ، وباطل التفرد ، وباطل الود ، و باطل البغض ، و باطل الحرية ، و باطل الاستبعاد ، و باطل العـلم ، و باطل الجهل ، وغيرها من أنواع الباطل ، كلها باطلة زاهقة آيلة للفناء والذهاب و الاضمحلال ، و لا يبقى فى شموخه و صموده أمام كل أنواع الباطل إلا الحق، ومن هنا كان القذف بالحق مبدياً به الله سبحانه أمراً يرمز إلى الوجود الايجابى السوى ، الذى لا تستقيم الحياة على جادتها السوية إلا به ، و لا يكون للانسان المستخلف فى الأرض قوة يقتدر بها على القيام بأعباء الأمانة الملقاة على عاتقه إلا به .

ومن هنا كان التوافق بين الحق و بين الانسان يحدث إيجابية صادقة فى واقع الحياة ، إذا أمسك بها الانسان الواحد و استطاع أن يستقطب حولها الآخرين ، كان المجتمع السليم المتماسك القوى الذى يرقى بالتطابق مع الحق إلى أعلى درجات الرقى و الأمن فى عالم تسوده الفوضى و الانحلال ، و تنخر فى أجزائه سوس الحقـد و الجشع و التآمر على كل المقومات الانسانيـة حتى كاد يوفى على الفناء و الزوال .

و من هنا كان واجباً على الفئة الواعية من المسلمين أن يعملوا على توضيح الأسباب و الوسائل التى تجعل التطابق كاملا أو قريباً من الكمال بين الانسان أينما وجد ، و بين الحق الذى أراده الله مزهقاً للباطل ، ليكون فى إزهاقه إعلاناً من الله تعالى لارادته (أن يسود الحق الكون الذى خلق بيده، كى يكون التطابق كاملا بينهما ، و لا يقع فى هذه الأرض أمر يخالف عن هذا الحق إلا إذا كان غير مقصود إلى المخالفة عنه) .

وإن فى هذا التطابق إيماءاً بل أمارة ظاهرة على أن البيان القرآنى لا يقف عند وجوه الاعجاز التى أبرزها العلماء السابقون ، و إن فى القرآن وجوهاً أخرى كثيرة يجب أن يبذل الجهد لابرازها ، فى وقت أخذ العالم فيه يتجه إلى الاسلام راجياً منه الخلاص المنقذ .

الدعوة الاسلامية فى العصر الحاضر

جبهاتها الحاسمة ، و مجالاتها الرئيسية

[محاضرة ألقاها سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى المؤتمر الاسلامى الكبير الذى عقدته رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة ، و ذلك يوم ٨ / صفر عام ١٤٠٨هـ ، و قد نالت المحاضرة استحسان الحاضرين و إعجابهم الكبير بها .
ننشرها فى هذا العدد تعميماً لفائدتها الدعوية و العلمية]
التحرير

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبى بعده .

و بعد ! فانى أحمد الله تعالى — و أشكر على من يرجع إليه الفضل وله نصيب فى ذلك — على إتاحة هذه الفرصة الكريمة للتحدث فى موضوع الدعوة إلى قادة الفكر ، و المسئولين عن الجمعيات و المنظمات الاسلامية ، و العاملين فى مجال العمل الاسلامى ، وذلك فى مهد الدعوة الأول ، و مبعث الرسول ﷺ ، فى البلد الأمين .

وحق لى أن أنشد البيت العربى القديم مخاطباً لنفسى :

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

إن موضوع الدعوة أيها السادة ! موضوع مطروق معالج كثرت عنه الأحاديث و ازدحمت فيه الكتابات و البحوث خصوصاً فى الزمن الأخير ،

و تكونت فيه مكتبة ذات قامة و قيمة (١) ، فأريد أن أحدد بحثى فى الحديث عن جبهات الدعوة الحاسمة ، و مجالاتها الرئيسية ، المقررة لمصير العالم الاسلامى ، فضلا عن مسيرة الدعوة ، و أركز على النقاط المختارة العلمية (فى ضوء دراساتى القاصرة ، و فى ضوء الواقع و تجارب الماضى) لحماية الأقطار الاسلامية من التحديات و الفتن ، و بالله التوفيق .

١— تحريك الايمان فى نفوس الشعوب و الجماهير المسلمة ، و إثارة الشعور الدينى فيها ، فان تمسك هذه الشعوب و الجماهير بالاسلام وتحمسها له ، هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هذه البلاد ، و كثير من القيادات و حكومات العالم الاسلامى فى حظيرة الاسلام ، وهى مادة الاسلام و رأس ماله ، و الخامات الكريمة التى تستخدم لأى غاية نبيلة ، و هى من أقوى المجموعات البشرية و أحسنها سلامة صدر و قوة عاطفة ، و اخلاص .

وذلك مع تحقيق الشروط ، والصفات التى تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله ، و التغلب على المشكلات ، و الانتصار على العدو ، كتصحيح العقيدة ، و إخلاص الدين لله ، والابتعاد عن كل أنواع الشرك و العقائد الفاسدة ، و العادات الجاهلية ، و التقاليد غير الاسلامية ، و عن النفاق ، و التناقض بين العقائد و الحياة ، و القول و العمل ، وسير الأمم القديمة التى استحقت بها عذاب الله و خذلانه ، و كذلك سيرة الأمم المعاصرة

(١) و قد صدرت من قلم المحاضر كتب و رسائل و محاضرات فى هذا الموضوع ، منها : ١— سلسلة « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » (١—٤) ، ٢— « روائع من أدب الدعوة فى القرآن و السيرة » ، ٣— « الدعوة الاسلامية فى الهند و تطوراتها » ، ٤— « حكمة الدعوة و صفة الدعاة » ، ٥— « الدعوة إلى الله ، و حماية المجتمع من الجاهلية ، و صيانة الدين من التحريف » ، ٦— « منهج أفضل فى الاصلاح للدعاة و العلماء » ، ٧— « دور الجامعات الاسلامية المطلوب فى تربية العلماء و تكوين الدعاة » .

التى نسيت الله ، فأنساها نفسها ، و قادت العالم إلى النار و الدمار .

هذا مع تنمية الوعى الصحيح و تربيته و الفهم للحقائق و القضايا ، و التميز بين الصديق و العدو ، و عدم الانخداع بالشعارات و المظاهر ، حتى لا تتكرر مآسى وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية ، و النعرات القومية ، أو العصبيات اللغوية و الثقافية ، ولعبة القيادات الداهية و المؤامرات الأجنبية ، فتذهب ضحية سذاجتها وضعفها فى الوعى الدينى و العقل الايمانى .

٢ــ صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم الاسلامية من التحريف و من إخضاعها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية و الاقتصادية والتجنب عن تفسير الاسلام تفسيراً سياسياً بحتاً ، و المغالاة فى « تنظير الاسلام » و وضعه على مستوى الفلسفات العصرية و النظم الانسانية . لأن هذه الحقائق الدينية هو أساس للاسلام الدائم ، و الأصل الذى منه البداية و إليه النهاية ، و إليها كانت دعوة الأنبياء ، و فى سبيلها كان جهادهم و جهودهم ، وبها نزلت الصحف السماوية .

الحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله و العبد و الايمان بالآخرة و أهميتها ، و يضعف فى المسلم عاطفة امتثال أمر الله وطلب رضاه ، و الايمان و الاحتساب و القرب عند الله تعالى ، و هذا التحول يفقد هذه الأمة شخصيتها وقوتها ، و قيمتها عند الله ، و كذلك الحذر من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية ، والشرك الجلى و العادات و العبادات الجاهلية ، و الاكتفاء بمحاربة النظم و التشريعات و الحكومات غير الاسلامية فان ذلك يتجه بهذا الدين عن منهجه القديم السماوى إلى المنهج الجديد السياسى .

٣ــ تقوية الصلة الروحية و العقلية و العاطفية بالنبى ﷺ و الحب العميق له ،

الذى يؤثره على النفس ، و الأهل و الولد ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، و الايمان به كخاتم الرسل ، و إمام الكل ، ومنير السبل ، و الحذر من كل العوامل و المؤثرات التى تسبب تجفيف منابع هذا الحب ، و إضعافه على الأقل و تحدث جفافا فى الشعور ، وضعفاً فى العمل بالسنة ، و تجرءا فى القول ، و انصرافاً عن الافتخار به ، و الولوع بدراسة سيرته ، وكل ما يحرك هذا الحب و يغذيه ، ولعل البلاد العربية (بفعل أحداث ، و دعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة ، و أحق بها من غيرها ، ففيها كانت البعثة المحمدية ، و فى لغتها نزل القرآن ونطق الرسول .

٤ــ إعادة الثقة فى نفوس الطبقة المثقفة ، و من بيدهم القيادة الفكرية و التربوية و الاعلامية فى البلاد و الحكومات الاسلامية بصلاحية الاسلام و قدرته ، لا على مسايرة العصر و تطوراته و تحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشرى إلى الغاية المثلى ، و تجديف سفينة الحياة إلى بر السلام و السعادة ، و إنقاذ المجتمع البشرى من الانهيار و الانتحار الذى تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء ، و أنه ليس « بطارية » قد نفدت شحنتها ، أو ذبالة قد نفد زيتها و احترقت فتيلتها ، بل هو الرسالة العالمية الخالدة ، و سفينة النجاة التى هى كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها .

إن ضعف هذه الثقة ، أو فقدها هو داء هذه الطبقة المثقفة الناشئة فى أحضان الثقافة الغربية ، أو تحت ضغطها ، وهو المسئول عن كل تصرفاتها وسبب الردة الفكرية والحضارية ، والتشريعية التى تكتسح العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، و تعانى منه الشعوب المسلمة ــ التى لا تفهم إلا لغة الايمان و القرآن ، ولا تتحمس إلا للاسلام ــ وسبب حدوث هذا الخلج العميق

الواسع بين القيادات و الحكومات و الشعوب و الجماهير ، وسبب القلق الذى يساور النفوس ، و يستهلك القوى و الطاقات فى ما لا يعود على الأمة و البلاد بفائدة .

٥ــ قلب نظام التربية و التعليم المستورد من الغرب ، المنتشر السائد فى العالم الاسلامى ، رأساً على عقب ، و صوغه صوغاً اسلامياً جديداً ، يتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة ، و عقيدتها ، و رسالتها ، و قامتها ، و قيمتها ، لا يبعد هذا الصوغ عنه عناصر الالحاد أو المادية ، و تصور هذا الكون تصوراً مادياً ، و العلوم و حدات متناثرة متناقضة ، و الطبيعة حرة قاهرة ، و التاريخ حوادث غير مرتبطة خاضعة لقلق و صراع دائمين ، ولا يصلح نظام التربيــة و التعليم اصلاحا جزئياً فحسب ، بل يبتكر ابتكاراً جذرياً ، مهما استنفد من الطاقات ، وكلف من الوسائل و النوغ و العبقريات ، وبغير ذلك لا يقوم العالم الاسلامى على قدميه و برأسه ، وعقله ، و إرادته و تفكيره ، ولا تدار الحكومات و الأجهزة الادارية ، و المرافق العامة برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين ، يطبقون التعاليم الاسلامية فى الحكومة و الادارة ، و التربية و الاعلام و المجتمع ، فتمثل الحياة الاسلامية بجمالها و كمالها ، و ينشأ المجتمع الاسلامى بسماته و خصائصه .

٦ــ حركة علمية قوية دولية ، تعرف الطبقة المثقفــة الجديدة بذخائر الاسلام العلمية و تراثه المجيد ، وتنفخ فى العلوم الاسلامية روحا من جديد ، وتثبت على العالم المتمدن ، أن الفقه الاسلامى و قانونه من أرقى القوانين و أوسعها فى العالم ، وهو يقوم على أساس من المبادىء الخالدة التى لن تبلى ولن تفقد صلاحيتها فى يوم من الأيام ، و هى تصلح لمسايرة الحياة الانسانية فى كل زمان و مكان ، و تغنيها عن كل قانون وضعته أيدى الناس .

٧ــ الحضارة عميقــة الجذور فى أعماق النفس الانسانيــة و فى مشاعر الأمة و أحاسيسها ، و تجريد أمة عن حضارتها الخاصة ــ التى نشأت تحت ظلال دينها و تعاليم شريعتها ، وكان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص و طابع هذه الأمة الخاص ــ مرادف لعزلها عن الحياة ، و تحديدها فى إطار العقيدة و العبادة و الطقوس الدينيــة الضيق ، وفصل حاضرها عن ماضيها ، فلا بد للحكومات الاسلامية و المجتمعات الاسلامية من التخطيط المدنى الاسلامى المستقل ، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى ، و الارتجالية ، و مركب النقص ، ولا بد من تمثيل الحضارة الاسلامية فى عواصمها و فى دوائرها ، و فى بيوتها ، و فى مجتمعاتها ، و فى فنادقها و متنزهاتها ، و إلى حد فى مكاتبها و طائراتها ، و سفاراتها ، و بذلك لا يعرض العالم الاسلامى نموذجا للحياة الاسلامية و المثل الاسلامية فحسب ، بل يقوم بدعوة صامتة للاسلام .

٨ــ معاملة الحضارة الغربية ــ بعلومها و نظرياتها و اكتشافاتها و طاقاتها ــ كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر ، و ولاة الأمور فى العالم الاسلامى ، حضارة قوية عصرية ، مؤسسة على الايمان و الأخلاق و التقوى ، و الرحمة و العدل فى جانب ، و على القوة و الانتاج ، و الرفاهية ، وحب الابتكار فى جانب آخر ، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم ، و بلادهم ، وما ينفع عملياً ، و ما ليس عليه طابع غرب و شرق ، و يستغنون عن غيره ، و يعاملون الغرب كزميل و قرين ، إن كان فى حاجة إلى أن يتعلموا منه كثيراً فهو فى حاجة إلى أن يتعلم منهم كثيراً ، و ربما كان ما يتعلمه الغرب منهم أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب .

٩ــ إقناع الحكومات ــ فى بعض البلاد الاسلامية التى مثلت دوراً رائعاً فى تاريخ الدعوة و الحضارة الاسلامى ــ المشغولة بحرب إبادة للعنصر الاسلامى ، أو عملية « تطوير للاسلام » و تفسيره وفق مصالحها السياسية ، أو أهواء قادتها الشخصية ، بأنها سياسة عقيمة لم تنجح فى بلد إسلامى ، و إقناعها بتوجيه طاقاتها و إمكانياتها إلى عدو مشترك ، و إلى ما يقوى البلاد والأمة .

و إقناع الحكومات المسلمة ــ المسالمة للاسلام ــ بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، و تهيئة الجو المناسب ، المساعد على ذلك ، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة و بركة و نصر من الله ، وسعى لتكون قيادة موحدة تقوم على مبدأ الشورى الاسلامى ، و التعاون على البر والتقوى ــ والشعور بالتقصير على الأقل ــ بعدم وجود الامامة العامة ، أو الخلافة الاسلامية التى كلف بها المسلمون و سيحاسبون عليها .

١٠ــ أما بالنسبة إلى البلاد غير الاسلامية ، فالقيام بالدعوة إلى الاسلام و التعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الاسلام و روح العصر ، أما البلاد التى فيها الأقليات المسلمة ، فالاهتمام بتمثيل الاسلام ، و الحياة الاسلامية تمثيلا يلفت إليه الأنظار ، و يستهوى القلوب ، و القيام بالقيادة الخلقية و الروحية ، و قبول مسئولية إنقاذ البلاد و المجتمع من الانهيار الخلقى ، و الخواء الروحى ، و التدهور الاجتماعى الذى تعرضت له هذه البلاد ، حكومة و شعباً ، حتى يتهيأ للاسلام أن يثبت جدارته و حاجة البلاد إليه ، و يتهيأ للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغى و القيادى فى هذه البلاد .

١١ــ و أخيراً لا آخراً هو ما تفرضه طبيعة الاسلام و تاريخه المجيد ، وتقتضيه

الفطرة السليمة ، و نفسية الانسان الدائمة ، و الأوضاع السائدة ، هو وجود حركة إيمانيـــة دعوية إيجابية قوية ، فى العالم الاسلامى ، تقترن بصفات الرجولة و الطموح وعلو الهمة و بعد النظر و القدرة على مواجهة الطاقات الرئيسية القائدة التى تملكت زمام قيادة البشرية وأصبحت تتحكم فى مصاير الشعوب و الأقطار الاسلامية وغير الاسلامية ــ من غير حق ومبرر ــ و ذلك بايمان القائمين بهذه الحركة و الدعوة القوى ، وثقتهم بفضل الاسلام و حاجة البشرية إليه .

و يقترن نشاط هذه الحركة أو الدعوة الاسلامية بروح التضحية و البطولة و الجلادة و التقشف و القدرة على المغامرات ــ إن كان لا بد منها ــ فان الناس ما زالوا مفطورين على تقدير الايمان القوى ، و الاعتزاز بالعقيدة و المبدأ ، و الاستهانة بالمادة و اللذة ، و العزة و روح المخاطرة ، و على الاجلال لشئ لا يجدونه عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوى و الفقير مفطور على احترام الغنى ، و الأمى مفطور على احترام العالم ، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، و لأن تاريخ الاسلام ملىء بالبطولات و المغامرات ، و لأن الواعين و المتتبعين لواقع الأمم والبلاد ، وأصحاب الضمائر الحية قد سئموا وضاقوا ذرعاً بسياسة الحكومات و القيادات الغربية و الشرقية و أصبحوا يمقتونها و يكرهونها كرها شديداً .

إن وجود هذا الفراغ ــ عدم وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية ، و مجتمع قوى سليم من أدواء العصر الحديث و الحضارة المادية الراعنة ، يقوم على تعاليم الاسلام وقيمه و مثله ــ خطر كبير على الوجود الاسلامى ، و على العقيدة الصحيحة و الحياة الاسلامية ، فان وجود الفراغ فى شيئ ضرورى و فى مصلحة بشرية شئ غير طبيعى لا يصلح للبقاء طويلا ، و قد يسبب ذلك نشوء

حركة منحرفة زائفـــة ، فاسدة العقيدة و المنهج ، سلبية هادمة مدمرة ، و يعرف الدارسون لتاريخ الديانات و الدعوات و الحركات ، و للتاريخ العـام ، أنه إذا وجدت هذه الحركة المنحرفة و اقترن نشاطها و دعاويها بالتضحيات و المغامرات ، و بالتقشف و مظاهر الزهد ومتافات التحدى للطاقات الكبيرة و مواجهتها تهديداتها و أخطارها ، بشجاعـــة و صمود ، و نقدها الاوضاع الفـاسدة السائدة فى بعض أجزاء العالم الاسلامى التى لا تتفق مع تعاليم الاسلام وقيمه و مثله — ولو كان فى ذلك نصيب كبير من الدعاية و المظاهرة و وسائل الاعلام الجبارة — كان له سحر على النفوس — خاصة فى أوساط المتعلمين و أنصاف المتعلمين ، المتألمين من الواقع المرير الذى تورطت فيه بعض المجتمعات الاسلامية — سحر لا يبطله وعظ واعظ ، أو مقال لكاتب، أو استدلال منطقى أو بحث علمى ، يشهد بذلك تاريخ الخوارج فى القرن الاسلامى الأول ، و تاريخ الباطنية و الفدائيين فى القرن السادس و السابع الهجريين ، و حكايات حسن بن الصباح و ما كان يجرى فى مركزه قلعة « الموت » ، و تاريخ كثير من الحركات العسكرية الثورية التى ظهرت باسم قلب الأوضاع الفاسدة باسم الاسلام والاصلاح كذباً ، زوراً أحياناً كثيرة ، و بعض الحركات و الثورات المعاصرة التى استطاعت أن تجند ألوفا من الشبـاب فى تحقيق مآربها السلبية و أهدافها الخطيرة ، يضحون بحياتهم فى سبيلها متطوعين مندفعين ، و قد استرعت انتباه العالم و استجابت لها بعض أوساط المعنيين باليقظة الاسلامية و الحالمين لمجد الاسلام وعظمته ، من غير أن ينقدوهـا نقداً بريئاً فى ضوء النصوص القرآنية و العقائد الاسلامية ، و الدراسات المقارنة الأمينة للفرق المنتحلة للاسلام .

و يعرف قادة المسلمين و مفكروهم ، أن السيل لا يمسكه إلا سيل مثله ،

و التيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه ، و واقع العـالم الاسلامى — و معذرة — اليوم فى الجمود و الاستنامة و الاخلاد إلى الراحة ، و عدم وجود دعوة إيمانية قوية ، و روح التضحية و الفداء فى سبيل العقيدة الصحيحة ، و الأهداف الصالحة ، و عدم اكتفائهم العسكرى و الفكرى ، نذير خطر دائماً ، و ممهد الطريق للوقوع فى شبكة هذه الدعوات المنحرفة الزائفة التى يجد فيها شباب المسلمين و المتذمرون من الأوضاع الحالية طلبتهم و منشودهم ، و ما يرضى طموحهم و يزيل قلقهم ، و ان كان ذلك « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجـده شيئاً و وجد الله عنده فوفاه حسابه » (١) و لكنها نفسية الانسان و تجربة الأمم ، و الحقيقة الأليمة التى يجب أن ينتبـه لها كل معنى بحاضر الاسلام و مستقبله ، و سلامة العقيدة وصحة التفكير ، و الايمان بالله و رسوله و تعاليمه .

و أختم هذا الحديث القصير بقوله تعالى الذى خاطب فيه المجموعة الصغيرة من الأنصار و المهاجرين التى حثها على المؤاخاة وربط بها مصير العالم و الانسانية : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير » (٢) .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

(١) سورة النور — ٣٩ . (٢) الأنفال — ٧٣ .

تجدد المشكلات التى واجهها ابن تيمية

يقتضى مجاهدتها من جديد

معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى

مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

(الرياض)

الحمد لله الذى يهدى الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق باذنه . و الصلاة و السلام على من تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، سيدنا محمد و على آله و صحبه و من تبعهم باحسان .

تفصل القرون العديدة ، و العصور المديدة بين الناس .

فيعيش قوم فى القرن الثامن الهجرى ويعيش قوم آخرون فى القرن الخامس عشر الهجرى مثلا .

و على الرغم من هذه الأزمان المتطاولة التى تفصل بين هؤلاء و أولئك فانهم يتشابهون فى معتقداتهم المنحرفة ، و أفكارهم و تصوراتهم الباطلة ، و فى مواقفهم المعاندة للحق .

قال تعالى :

« و قال الذين لا يعلمون لو لا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون » .

« و قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

والتشابه فى المعتقدات والتصورات الباطلة ، ينتج سلوكا باطلا منحرفا يؤدى إلى مصير متشابه :

« كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة و أكثر أموالا و أولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ، و خضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا و الآخرة و أولئك هم الخاسرون » .

و هذا التشابه - فى المعتقدات والأفكار و المسالك و المصاير - بين الضالين - القدماء و المحدثين - حقيقة تاريخية ، و واقع قائم ينبغى أن يعيهما الحفيظون على السنة ، و المستغلون بالدعوة إلى الاسلام ، ففى الوعى العميق بهما زاد نفيس من العلم و الفقه يرتفقه أهل الحق و هم يردون الأمة إلى الطريق الصحيح و المنهج القويم .

و من هذا الزاد النفيس النافع :

❁ زيادة اليقين بأن من يتجافى عن منهج السنة يهلك لا محالة .

❁ إدراك أن الدعاوى الحديثة ، و الفتن المعاصرة ليست سوى أفكار قديمة أخرجت فى الفاظ معاصرة ، و فى وسائل جديدة .

❁ الاستفادة من جهود أئمة الهدى السابقين فى نقض الفتن المعاصرة ، و ليس معنى ذلك أن يقعد الدعاة ، أو أن تقصر همتهم دون بذل الوسع فى تفنيد الشبهات الجديدة .

إن المعنى المقصود هو : أن هناك مشكلات بعثت من جديد - وهى ذات جذور فى الماضى - و أن أئمة الهدى السابقين قد عالجوا هذه المشكلات فى جذورها الأولى ، و كان لهم فيها - من ثم - بصر و خبرة .

لقد واجه شيخ الاسلام ابن تيمية مشكلات كبرى فى عالمه ، و فى عصره فاستعان بالله عز و جل ، و جرد نفسه لمواجهتها بعلم ، و بصيرة ، و ثبات جنان ، و قوة بيان .

ولقد دلتنا دراستنا للنتاج العلمى لابن تيمية، كما دلنا وقوفنا على قضايا عصرنا على أن معظم المشكلات التى واجهها ابن تيمية قد تجددت اليوم وعادت جذعة .

و هذا برهان على أن المفسدين و المرجفين يدعون لذات المعتقدات الفاسدة و إن فصلت بينهم قرون و عصور .

ومن المتعذر أن نعرض لكافة القضايا التى واجهها ابن تيمية فهى من التشعب و الضخامة بحيث استغرقت مؤلفات ابن تيمية كلها تقريباً .

و لكننا سنختار نماذج محدودة من تلك المشكلات ، مجتهدين فى ربطها بالواقع : استجلاء لحقيقة أن ما كان بالأمس ، يجرى اليوم .

معاداة السنة .

النموذج الأول هو : أن ابن تيمية - رحمه الله - واجه مشكلة « معاداة السنة » أو ادعائها بغير دليل .

قال - رحمه الله - : « فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق - أى الفرق المخالفة للسنة — بحكم الظن و الهوى فيجعل طائفته و المنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة و الجماعة ، و يجعل من خالفها أهل البدع ، و هذا ضلال مبين فان أهل الحق و السنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ ، الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، فهو الذى يجب تصديقه فى كل ما أخبر و طاعته فى كل ما أمر ، و ليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة ، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله و يترك إلا رسول الله ﷺ .

و بهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هى الفرقة الناجية أهل الحديث و السنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله و أحواله ، و أعظم تمييزاً بين صحيحها و سقيمها ، و أئمتهم فقهاء فيها ، و أهل معرفة بمعانيها و اتباعا لها : تصديقاً و عملا و حباً و موالاة لمن والاها و معاداة لمن عاداها » .

و لبث ابن تيمية يوضح معالم السنة ، ويميز بين أوليائها وأعدائها ، وينتصر

لها بالقول و الفعل و الموقف ، حتى عد - بحق - محيياً مجدداً لمنهج أهل السنة و الجماعة .

وكان جماع سعادته أن يرى سنة رسول الله ﷺ منصورة والبدعة مقهورة .

قال - فى كتابه إلى الملك الناصر : « أما بعد ، صدق الله وعده و نصر عبده ، و أعز جنده ، و هزم الأحزاب وحده ، و أنعم الله على السلطان ، و على المؤمنين فى دولته نعما لم تعهد فى القرون الخالية ، و جدد الاسلام فى أيامه تجديداً بانت فضيلته على الدول الماضية ، و تحقق فى ولايته خبر الصادق المصدوق ، أفضل الأولين و الآخرين ، الذى أخبر فيه عن تجديد الدين فى رؤوس المئين » .

إن هذه المشكلة التى واجهها ابن تيمية تجددت اليوم ، فهناك - فى أيامنا هذه - من يحارب السنة و يعاديها .

و هناك دول قامت لتحارب السنة ، و تنشر ما يخالفها .

و هناك من يدعى السنة و هو يوالى أعداءها من أهل الزيغ الرافضين لها أولئك الذين ينكرون السنة أصلا ، و يبغضونها اعتقاداً و شعوراً .

فهل هناك من يواجه هذه المشكلة الجديدة بمثل ما واجهها به ابن تيمية .

تمزيق الأمة :

والنموذج الثانى أن ابن تيمية واجه مشكلة « تمزيق الأمة » الاسلامية ، و لذا جاهد من أجل ائتلاف الأمة و وحدة الجماعة .

قال - رحمه الله - : « إن الله أمر بالجماعة والائتلاف ، و نهى عن البدعة و الاختلاف : « إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم فى شئ » .

و قال النبى ﷺ : « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » . . فالواجب على المسلم إذا صار فى مدينة من مدائن المسلمين أن يصلى معهم الجمعة و الجماعة و يوالى المؤمنين و لا يعاديهم ، و إن رأى بعضهم ضالا أو غاوياً و أمكن أن يرشده و يهديه فعل ذلك » .

إن هذه المشكلة التى واجهها ابن تيمية تجددت اليوم، فها من مرد - وهو يدعى الاسلام - على تمزيق وحدة المسلمين، بالتهييج الطائفى، وبتسعير الحروب، و باثارة الفتن فى الحج.

فهل هناك من يواجه هذه المشكلة الجديدة بمثل ما واجهها به ابن تيمية .؟

موالاة أعداء الاسلام :

و النموذج الثالث إن ابن تيمية واجه مشكلة ملؤهـــا الخيانة و الغدر، فان قوما يدعون الاسلام قد والوا أعداء الاسلام، و فرحوا بانتصارهم.

و لندع شيخ الاسلام يقص علينا قصة هؤلاء الخونة.

قال - رحمه الله - : « إن المسلمين - خاصتهم و عامتهم - عند الرافضـــة كفار، مستباحو الدم.

و لهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين، فيعاونون التتار على الجمهور، وهم كانوا من أعظم الأسباب فى خروج جنكز خان -ملك الكفار- إلى بلاد الاسلام، و فى قدوم هولاكو إلى بلاد العراق، و فى أخـــذ حلب ونهب الصالحية، وغير ذلك، بجبنهم ومكرهم، لما دخل فيه من توزر منهم للمسلمين و غير من توزر منهم.

و بهذا السبب نهبوا عسكر المسلمين لما مر عليهم وقت انصرافه إلى مصر فى النوبة الأولى.

و بهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين.

و بهذا السبب ظهر فيهم من معاونة التتار و الافرنج على المسلمين و الكآبة الشديدة بانتصار الاسلام ما ظهر.

و كذلك لما فتح المسلمون الساحل - عكا وغيرها - ظهر فيهم من الانتصار للنصارى و تقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس .. و كل هذا الذى وصفت بعض أمورهم، و إلا فالأمر أعظم.

و لهذا اتفق أهل العلم بالأحوال: أن أعظم السيوف التى سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إليها، و أعظم الفساد الذى جرى على المسلمين ممن ينتسب إلى أهل القبلة، إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم.

و هم يوالون اليهود و النصارى و المشركين.. و هذه من شيم المنافقين.

و لهذا لما قدم التتار إلى البلاد، و فعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد، أرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل، و حملوا راية الصليب و حملوا إلى قبرص من خيل المسلمين و سلاحهم و أسارهم ما لا يحصى عدده إلا الله و أقاموا سوقهم بالساحل عشرين يوما، يبيعون فيـــه المسلمين و الخيل و السلاح على أهل قبرص، و فرحوا بمجيئ التتار.

ولما خرجت العساكر الاسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم من الخزى و النكال ما عرفه الناس منهم.

و لما نصر الله الاسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان، كان بينهم شبيه عزاء ».

إن هذه المشكلة التى واجهها ابن تيمية تجددت اليوم.

فها هى دولة خمينى توالى أعداء الاسلام، و تتحالف معهم سراً وعلانية.

فهل هناك من يواجه هذه المشكلة بمثل ما واجهها ابن تيمية ؟

لئن تشابهت قلوب المبطلين - الغـابرين و المحـــدثين - و تشابهت أفكارهم و مسالكم بالباطل.

فان الحق هو الذى يوحد موكب المؤمنين : المستقدمين منهم والمستأخرين، و اذن فليتصل موكب ابن تيمية.

و لينهض اليوم رجال بمثل ما نهض به من جهاد.

و صلى الله و سلم و بارك على سيدنا محمد و على آله و صحبه.

الدعوة الاسلامية :

بين الدنيا و الآخرة (٢)

بقلم : الأستاذ المرحوم محمد الحسنى

تحدثت فى مقالى السابق عن نوع من التفكير جديد إن رضيه التفكير المادى فان التفكير النبوى لا يرضاه ولا يسيغه ، لأنه تفكير سقيم لم يقـــم على دراسة القرآن الصحيحة و دراسة المجتمع الانسانى فى القرن الأول ، و لأنه تفكير ناقص (Onesided) يأخذ نصيبه من الدنيا وينسى نصيبه من الآخرة ، إنه يعنى بهذه الناحية من الكتاب و السنة التى تحث على الكسب وطلب الرزق ، أما الناحية التى تتصل بالحنين إلى الآخرة و الشوق إلى الجنة و الاقبال إلى الله ، و ابتغاء مرضاته و الجهاد فى سبيله ، و تقلل من قيمة الدنيا و المال ، و يطارد حبه من القلوب ، ويصف الحياة الآخرة كأنها هى الحقيقة الوحيدة فى هذا الكون ، فانها لا تنال أهمية لائقة من هذا التفكير مع أن هذه الناحية هى النـاحية المفضلة فى القرآن ، و السمة البارزة فى المجتمع الاسلامى الأول .

غاية أو وسيلة !

و الشئ الآخر الذى أضل الفكر و أظلم الطريق هو النظر إلى الآخرة كمن ينظر إلى وسيلة و أداة لانشاء حكومة أفضل وجيل أمثل ، إن هذا النوع من الناس يحسبون الآخرة طريقاً من طرق الاصلاح و وسيلة من الوسائل الأدبية لتربية الفرد و الأمة ، و أداة قوية لبناء مجموعة بشرية صالحة ، لأنه لا بد للانسان من حارس و مراقب يحثه على الخير و يمنعـــه عن الشر ، و هذا الحارس هو « اليوم الآخر » و إن مجرد قانون العقوبات لا يقدر أبدا أن يوجد فى الناس

عواطف الرحمة والبر و الشفقة و الحنان ويحثهم على الحياة النظيفة و الطاهرة . و أن القتل والنهب و الارتشاء والسوق السوداء ، و الاحتكار و اختلاس الأموال موجود فى كل حكومة و فى كل مكان بجنب البوليس و قانون العقوبات ، ونقف هنا قليلا فنقول : إن فكرة اليوم الآخر هى الحارسة لأعمال الانسان ، ولا شك ، وهى تستطيع أن تدفع عنه السيئات وتحثه على الحسنات ، و لكن يجب علينا أن لا ننسى أنها فائدة من فوائد الآخرة . أما غايتها الأصيلة فانها لا تتقيد فى حدود هذه الدنيا المحدودة القصيرة ، و لا نصل إليها إلا حين تقوم القيامة ، و يقال : « لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » (١) .

هنالك اهتدى هؤلاء الناس إلى الآخرة كوسيلة من أعظم الوسائل لاقامة النظام فى العالم ، و آمنوا بها كضرورة خلقية Ethical necessity لا يستغنى عنها فرد أو أمة ، أما كوصفها غاية هذا الكون و هذه الحياة و الهدف الأول لكل إنسان فى هذه الأرض ، ومنتهى جهوده و تضحياته و مقياس نجاحه و خسرانه ، فهذا لا يعنيهم كثيرا ، فتراهم يتحدثون عنها كأنما يتحدثون عن شئ ليس له نصيب كبير من الواقع أو كأنما يتحدثون عن بعيد أو محال ، أو حلم و خيال ، فاذا مروا بآية ترغيب أو ترهيب فى القرآن ، مروا غير عابئين بها مهما كثر فيه ذكرها ، و تتابعت آياتها ، و إذا مروا على آية واحدة تتصل بالمعيشة و الكسب والعدة و الاعداد أفاضوا فيها و أرسلوا النفس على سجيتها ، وانساقوا مع الحديث كل الانسياق .

بين التفكير النبوى و التفكير البشرى :

وههنا الفرق بين التفكير النبوى والتفكير البشرى ، فان الأنبياء عليهم الصلاة

(١) سورة غافر ، الآية ١٦ .

و السلام يعدون الآخرة أعظم غاية فى هذه الحياة وهى عندهم واقع مشهود وحقيقة ثابتة ، و كأنهم ينظرونها و يتشوقون فى جوها ، و لا فرق عندهم بين المادة التى نلمسها و الغيب الذى لا نراه ، إنهم يؤمنون بأن الآخرة هى الغاية الوحيدة التى يجب أن يتنافس فيها المتنافسون ويعمل لها العاملون بكل ما أوتوا من الصحة و القوة و المال ، لا يدخرون لها وسعا ، و لا يبغون عنها بديلا و لا يرضون دونها زهيدا و لا يسلكون سواها طريقا ، فمن زحزح عن النار و أدخل الجنة ، فقد فاز ، و ما الحياة الدنيا الامتاع الغروره (١) وكل شئ يمكن أن يكون وسيلة إلا الآخرة ، ورضا الله جل وعلا ، و ابتغوا إليه الوسيلة ، أليست هذه الحياة قصيرة العمر ، قليلة المتاع ، مدبرة ذاهبة ، خادعة مضلة ، كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، (٢) ؟ أليست هى الفانية و الأخرى باقية ؟ ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، و فى الآخرة عذاب شديد ، و مغفرة من الله ورضوان ، (٣) ألم يقل رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » ؟ وقال : « من أحب دنياه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على الذى يفنى » ، و قال له ابن مسعود رضى الله عنه يوماً : لو أمرتنا أن نبسط لك و تعمل . فقال : « مالى و للدنيا ، و ما أنا و الدنيا ، ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح و تركها » ، وقال مرة : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ، وقال : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ، ويقول

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النور ، الآية ٣٩ .

(٣) سورة الحديد ، الآية ٢٠ .

القرآن « إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » (١) أما هنا فقد انعكست الآية ، فاذا الغاية تصبح وسيلة ، و الوسيلة تتحول غاية ، و ذلك بدون أن يشعر أحد بأى انحراف وقع فى اتجاه الحياة ، و أى جرح أصاب الروح الاسلامية و الفكر الاسلامى .

إننى أعجب من هؤلاء الذين لا يلمسون هذا البون الشاسع بين الفكرتين ، ويحزن — باخلاص — أن لا يبدو للناس الجانب الروحى من الاسلام . فينتقص من قيمته و كرامته و مكانته السامية بين الحركات العصرية (٢) .

مهما يكن من أمر فان كل دارس للكتاب و السنة و أحوال الصحابة يعرف جيداً أن هذه الفكرة لم تقم أبداً على أسس إسلامية صحيحة ، و إنما نجمت فى رجال أخذوا بالحضارة العصرية — التى هى مادية بحتة — من غير أن يشعروا ، و لم تنشرح صدورهم للاسلام ، و إن آمنوا بسبقه فى حقل السياسة و الاقتصاد و التشريع ، فهم يخجلون من أن يعرضوا الاسلام فى صورته الصحيحة و يتظاموا بجانبه الروحى العظيم فى حياتهم من زهد و قناعة وورع و تقوى وخشية و إنابة و تضرع و ابتهال و دعاء و مناجاة وحنين إلى الجنة و شوق زائد إلى لقاء ربهم وحرص شديد على مغفرته و رضوانه ، ذلك لأن هذه الفكرة التى اختاروها ليس بوسعها أن تنشئ فيهم هذه الروح الدينية الأصيلة وكيف تفعل و قد قامت من أول يوم منكرة لها ، أو كانت فى عمى من قوتها ، و تأثيرها و أهميتها و أصالتها .

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٦٤ .

(٢) و ياليتهم يعلمون أن اسلام محمد عليه صلوات الله و سلامه و اسلام صحابته رضى الله عنهم (فى صورته و روحه الأولى) أصلح لهذا العصر الذى اتخم بالمادية وهو مع فكرته الأصيلة التى تستحيون من ذكرها ، دين كل زمان و مكان ، وسفينة نوح فى كل طوفان .

إن الأنبياء عليهم السلام يعيشون كما يعيش الناس و يأكلون و يشربون و يتزوجون و يحبون الأولاد، ولكن لا تذهلهم هذه الزخارف — لدقيقة واحدة — عن إيمانهم بأنهم ذاهبون إلى الآخرة، فالدنيا عندهم طريق للوصول إلى المقصود و وسيلة تفضى إلى الغاية، أو قاعة امتحان للناس، فمنهم من رسب، أو (مخيم) تقوم فيه بالاعداد جسدياً و روحياً حتى تفوز برضا الله عز وجل.

و يسرى ذلك الايمان فى أصحابهم مسرى الروح فى الجسم و الكهرباء فى الأسلاك، ويتحكم فى ميولهم و نزعاتهم، و أهوائهم و شهواتهم، ويخلق منهم إنساناً آخر حتى يصبح كل فرد منهم إماماً و قدوة، يقلده العالم وتتبعه الأمم، فلا ترى فيهم إلا شوقا إلى الجنة وحنينا إلى الآخرة وسعياً إلى الجهاد و تسابقاً فى الخيرات، مثلهم مثل جائع عطشان، قد سدت فى وجهه أبواب الرزق وقد رأى الماء وراء جبل فهو يسعى إليه بكل ما أوتى من قوة، ولا يكل ولا يمل، ولا يؤثر فيه استخفاف الناس لأنه قد رأى الماء بعينيه، وهو يعلم أنه لو لم يصل إلى هذا المكان لمات شر ميتة.

إنها السمة البارزة و الوصف الأول للمجتمع الاسلامى الصحيح، فى عصر الصحابة و التابعين، و هو المقياس النبوى الخالد الذى يقاس به الناس فى كل عصر ومصر مهما تغيرت الظروف و الأوضاع، ومهما تقدمت المدنية و تعقدت الحضارة، و اختلطت الوسيلة و الغاية.

بينما نرى الطائفة الأخرى تستهين بهذه الناحية الجليلة وتهمل شأنها، و قد رأينا كثيراً من الكتاب و المفكرين يحبون أن يعرضوا الاسلام فى العالم كحركة تقدمية شعبية أو نظام اقتصادى أو سياسى، يهدف إلى ترفيه الشعب و إقامة حكم صالح نظيف، يسود فيه الهناء و السعادة، ويحكم فيها بالسوية، ويطمئن كل فيها

إلى نفسه وعرضه وماله، فلا قتل ولا سرقة، ولا غش ولا خيانة، و لا غلاء ولا بلاء، ولا الارتشاء ولا السوق السوداء، و تكون جنة فى الأرض.

أما الغرض الأساسى من الاسلام الذى يقول فيه القرآن: «قوا أنفسكم و أهليكم نارا و قودها الناس و الحجارة» (١) وهدفه الأول وهو النجاة فى الآخرة و الوقاية من النار، فانهم لا يذكرونها فى كتاباتهم إلا مرغمين، مقهورين، كارهين، خوفا من أن يتهمهم البعض بأنهم رجعيون، يحلمون بالفردوس فى دنيا العمل و الحياة، و يخشون الناس و الله أحق أن يخشوه.

الروح أولا:

الاسلام فى نظرهم مجرد حركة ونظام كالحركات السياسية و المادية الأخرى: الاشتراكية و الشيوعية مثلا، إلا أنه قد فاق أقرانه فى مواهبه المدهشة لحل مشاكل العالم، و صلاحيته للبقاء و الاستمرار، و إنكاره لفروق اللون و الجنس، و هذا صحيح و لا شك! و لكن هل بعث محمد عليه الصلاة و السلام لينشئ حكومة شعبية راقية يعيش فى ظلها الانسان بسلام ويموت بسلام، وهو لا يدرى غايته و واجبه فى هذه الحياة ولا يعرف ربه، و إن عرفه، فلا يحبه ولا يخشاه ولا يتشوق إلى الجنة ولا يخشى من النار؟؟.

وتطغى عليهم هذه الفكرة وتسول لهم أن يهملوا عالم القلب و الروح، و يسخروا منه بعض الأحيان و يحتقروا العاطفة وفعلها السحرى فى النفوس، و ينكروا أهمية الفرد فى المجتمع و تربيته الروحية و علاقته مع الله و مشكلته الذاتية، حتى يواجه الموت ويضمه القبر و لا يغنى عنه حينئذ أدب أو علم أو سلطان «يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر» (٢).

وربما يقول البعض إننا نقدم الاسلام كحركة عصرية تقدمية لئلا ينفر منه العقل الحديث و كذلك نقدم الآخرة كضرورة خلقية لأنها تسوغ إنسان القرن

(١) سورة التحريم، الآية ٦. (٢) سورة الطارق، الآية ٩ — ١٠.

العشرين الذى لا يؤمن إلا بالنفعية والمادية ولا يفهم إلا هذه اللغة و هذا الأسلوب و هذا حق ! لكن يجب علينا أن لا ننسى أن اثمه أكبر من نفعه ، إننا بذلك نبنى صرحنا الاسلامى على أشلاء الفكرة الاسلامية نفسها ، و نغذى نزعته المادية التى حاربها الاسلام .

إن الاسلام روح و تشريع ، و عبادة و ثقافة ، و دين و دولة ، إنه ينشئ فى أهله أولا هذه الروح التى لا يحتاجون بعدها إلى رقابة ، و حراسة بوليس ، و يمدهم ثانيا بقانونه الالهى الشامل ، « نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء » (١) .

نزلت آية منع الخمر فسالت الخمر فى أزقة المدينة ، وكسرت دنانها ، و قد كان الرجل منهم لم تفارق الخمر شفتيه ، والآخر كان يرفع الكأس إلى فمه فيسمعان بمنع الخمر و يتوبان عن شربها حالا ، ولا يغيبن عن بالك أنه لم يكن هناك جبر ولا إكراه ، ولا دعاية ، ولا حراسة ولا رقابة ، و بعد ثلاثة عشر قرنا على هذا الحادث الفذ العجيب تصدر الحكومة الأميركية قانون منع الخمر ، وتنفق أموالا باهظة على الدعاية ، و تستخدم أحدث الوسائل فى بيان مضار الخمر عن طريق السينما و النشرات و الاذاعة ، و لكن رغبة الشعب فى الخمر اشتدت بالعكس ، وقوى عناده ، حتى اضطرت الحكومة أخيراً إلى سحب القرار و إباحة الخمر قانونياً . وتمنع روسيا الخمر فى حدود دولتها فى إبان عهدها ، فلا تلبث أن ترغمها الظروف على إباحته .

إن الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا واضعى قانون فحسب ، بل انهم كانوا مبشرين و منذرين وبما أن الاسلام كل لا يتجزأ ، فانه لن يكمل اتباع النبى ﷺ فى التشريع و الأحكام ، فحسب ، بل يجب علينا أن نتبعه فى سيرته وسلوكه ، و عبادته و زهده أيضاً ، ونتلقى منه قسطاً كبيراً من سمو الروح و تزكية النفس ، أما إذا أخذنا بمجرد التشريع و فاتتنا ناحية الروح التى هى كل شئ فقد فاتنا

(١) سورة النور ، ٣٥ .

الهدف ، ولم يكمل لنا الايمان ، و حرمنا اللذة الحقيقية وتركنا اللباب .

ما هو الغرض من التشريع ؟ إن الغرض من التشريع كما هو المعلوم هو رفع المجتمع إلى مستوى خلقى عال ، حتى لا ينحرف عن الطريق ولا يهبط إلى الحضيض و حمايته من التدهور الخلقى و الفساد ، فكيف لو جعلناه غاية وحسبنا غايته وسيلة ، كما فعلنا أمس بالآخرة حتى استغللناها كوسيلة لاقامة السلام فى العالم ، و حماية المجتمع من الأدواء الخلقية و النفسية و الانحلال العائلى و الاجتماعى ، ونسينا أن الاصلاح الخلقى ، و نظافة الأسرة و المجتمع ، و التحرز من الحرام ، و الارتزاق بالحلال و أعمال البر و الخير ليست غايات بنفسها ، إنما هى وسائل للنجاح فى الآخرة والاعداد الروحى و النفسى لكسب المغفرة و الرضوان من الله « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (١) .

الاسلام دين القوة ، و دين الحياة ، و دين الكفاح و الجهاد ، و دين التمكين و العزة ، ودين الرحمة و الاخاء ، ودين الهناء و الرخاء .

ولكن هى كلها منافع و ثمرات يعطيها الله عباده الله المؤمنين ، ونعمة ينعمها على أهل الايمان ، وهى كلها وسائل نبتغى بها رضى الله فى الدنيا و الآخرة ، ونتقى بها النار ونكسب بها الجنة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة » (٢) « و ابتغوا إليه الوسيلة » (٣) .

و إنه من الجفاء كل الجفاء وظلم لا يعدله ظلم أن نخلط بين الوسيلة والغاية ، ونقلب الحقائق ظهراً لبطن ، ثم نزهو بهذه الخدمة الجليلة التى نقوم بها باسم العلم و الدين ، و الاسلام و المسلمين ، من غير أن نشعر بأى نقص وقع فى جهازنا الفكرى وما سيكون له من نتائج سيئة و عواقب وخيمة فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الحساب ! « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (٤) .

(١) سورة الشعراء ، الآية ٨٨ — ٨٩ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١١١ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٣٥ .
(٤) سورة ق ، الآية ٣٧ .

كرامـــة المسلم !

بقلم الدكتور محمد سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » (الرياض)

ينهى رسول الله ﷺ أن يؤذى المسلم أخاه المسلم بقول أو فعل ، لأن للمسلم حرمة ، و لاحترامه و معاملته آداباً يجب أن تراعى .

و لقـــد حذر رسول الله ﷺ من أمور كثيرة توجب اللعن و هو الفرار من رحمة الله ، لأن فيها ضرراً متعمداً لاخواننا المسلمين ، و من ذلك :

التخلى فى الطرقات ، أى قضاء الحاجة ، وتعمد وضع النجاسات فى طرقات المسلمين ، لأن فى ذلك أدباً رفيعاً واحتراماً للطرق بالنظافة ، وللمسلمين برفع الأذى عنهم ، فقد روى مسلم فى صحيحه حديثاً قال فيه ﷺ : « اتقوا اللاعنين قيل وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : التخلى فى طريق الناس ، أو فى ظلهم » .

فمن وضع شيئاً فى طرق الناس ، اكتسب غضبهم ، و الدعاء و اللعن على من وضع مثل هذا فى وجوههم ، مما يتسبب فيه نجاستهم فى غدوهم و رواحهم ، و التضييق عليهم وأذيتهم ، وفى هذا إخبار باستحقاق من عمل مثل هذا اللعنة التى قال عنها ﷺ بأنها تصعـــد إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم ترجع إلى الأرض فتوصد أبوابها دونها ، ثم تذهب إلى من صدرت إليه ، فان كان أهلا لها و إلا رجعت إلى من قالها .

وقد لعن الله فى كتابه الكريم أناساً بصفاتهم و أعمالهم كالظالمين والفاسقين و الكافرين و الكاذبين و غيرهم .

فمن تعمد شيئاً من تلك الصفات التى جاء ذكرها فى القرآن ، فقـــد أوقع نفسه فى مداخل اللعن و فتح ثغرة على نفسه بأن يلعنه الناس ، و يدعوا عليه .

وكل مسلم مأمور بأن يتلمس مداخل الخير ليسير معها ، ومنافذ الشر والأضرار فيجتنبها ، و هو بعمله هذا إنما يبحث عن سعادة نفسه ، و يبتعد عما يحدث العنت و المشقة عليه .

و مع هـــذا العمل فهو يفيد المجتمع ، و يدخل السرور على أبنائه ، و يشعرهم بالمحبة و الترابط التى هى من سمات الاسلام : « إنما المؤمنون إخوة » .

النهى عن رفع الحديدة فى وجه المسلم ، والحديدة هى أبسط الأدوات الضارة ، لأن الأسلحة تصنع من الحديد ، و لما كان رفع كل شئ يتوقع فيه الضرر فى وجه المسلم ، إيذاناً بتخويفه ، أو بقصد إنزال الضرر به ضرباً أو قتلا ، فقد نهى الله و رسوله فى مواقف كثيرة عن قتل المسلم أو ترويعه أو أذيتـــه ، لأن للمسلم صرفه ، و قد أمنه الاسلام باتباع شرع الله ، ولا يجوز الاعتداء على هذا الأمن ، بأى مدخل من مداخل التخويف و الازعاج ، أو الاضرار و الاساءة .

فاخوة الاسلام التى أصلتها تعاليمه ، تعنى رابطة عاطفية وإحساناً عميقاً ، قد لا يشعر به كثير من المسلمين ، لأن تعاليم الاسلام لم تتعمق فى نفوسهم ، ليعرفوا مدلولها و ما تدعو إليه ، وهم مأمورون بالفهم الجيد ثم التطبيق و العمل .

و إذا كان قد قيل : و بضدها تتميز الأشياء ، فان صحابة رسول الله ﷺ ، عندما وصلوا للمدينة مهاجرين ، قد شعروا بهذا العمق الأخوى ، و الرابطة المكية للعقيدة بما دعاهم إليه رسول الله ﷺ من إخاء و ترابط ، حيث تقاسموا المسكن و لما كل ، و شعروا بدور الأخوة الدينية التى أصلها الاسلام ، و نماها رسول الله ﷺ حثاً و تأيـــداً ، حيث آخا بين المهاجرين و الأنصار ، فتقاسموا أموالهم ،

و تشاطروا ممتلكاتهم ، حتى بلغ الأمر بأحدهم إلى أن يتنازل عن إحدى زوجتيه ليتزوجها أخوه فى الاسلام .

و عن عمق رابطة الاسلام ، و ما تتركه من أثر فى النفس ، يتغلب على المشاعر ، حيث يبعث على الفرح و المحبة ، أذكر حادثة عايشتها فى أميركا ، ففى أحد المساجد كان معنا أحد المسلمين الجدد ، جاء به زميل له ليحضر اجتماع إخوانه المسلمين و مذاكرتهم ، و ليؤدى معهم صلاة المغرب ، ثم العشاء ، و فى جلسة ما بين هاتين الصلاة و قبل بدء الدرس رحب المصلون بأخيهم الجديد ، و هنأوه باسلامه ، فكان كل واحد يصافحه ، و يعانقه و يرحب به ويدعوله بكلمات منها : حياك الله يا أخى ، أهلا و سهلا بالأخ الجديد .

و شعر الرجل بصدق العبارات ، و حرارة اللقاء ، فلم يسعه إلا أن يبكى و بشدة ، فسأله أحدهم ما الذى يبكيك ، فقال : رابطة الاسلام ، و عبارات الاخوة التى رددها الجميع ، فقد تركت فى نفسى أثراً ، شعرت معه بمكانة هـذا الدين وسمو تعاليمه ، فلقد عشت فى مجتمعى هذا فترة طويلة من عمرى ، لم أسمع خلالها من ينادى بقوله : يا أخى ! أو يرحب بى مثل هذا الترحيب الحار ، الذى لمست صدقه ، و تغلغل مفهومه إلى داخل نفسى .

وإذا كان الاسلام قد ترك مثل هذا المفهوم فى نفوس المسلمين ، فاننا نرى دروس رسول الله ﷺ الكثيرة ترعى الفرد المسلم ، و تحافظ عليه ، فيقول ﷺ فى الحديث الصحيح الذى اتفق عليه الشيخان البخارى و مسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، و النفس بالنفس ، و التارك لدينه المفارق للجماعة » و لا تجد عقيدة على وجه الأرض تحمى أبناءها و ترعاهم ، و تجعل لنفوسهم كرامة ، و لدمائهم حرمة كما هى فى الاسلام .

ذلك أن الاسلام ليس عقيدة تعبد مع الله فقط ، و لكنها حماية للفرد ومحافظة على حرمات النفوس ، التى صانها الاسلام ، فلا يتطاول شخص على آخر لنزعة شخصية ، أو مآرب خاصة ، فيقتله لأنه أقوى منه ، أو لأنه تمكن من السيطرة عليه ، أو ليشفى أثرة فى نفسه ، فقد توعد الله فى سورة النساء من اجترأ على قتل مؤمن بغير حق عمداً ، بثلاث عقوبات كل واحدة أشد من الأخرى : جزاؤه جهنم ، و غضب الله عليه ، ثم تلحقه لعنة الله .

و لذا حدد رسول الله المواطن التى يباح فيها الدم المسلم ، الذى يشهد أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله ، بالثلاث التى مرت ، و جعل الله حق تنفيـــذ ذلك لولى الأمر ، بحكم شرعى ، حتى لا تدب الفوضى فى المجتمع ، و يدعى أناس امتطاءهم هذا المركب .

و لعرض المسلم حرمة ، و لشخصيته كرامة يرعاهما الاسلام و يحافظ عليهما حيث يقول الرسول الكريم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده » .

فيسلم الناس من لسانه عن الغيبة أو النميمة ، أو التطاول و الكذب ، فبذاءة اللسان مما يمقته الاسلام ، و تنهى عنه تعاليمه .

ففى خطبة الوداع كان من كلام رسول الله ﷺ : « إن دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا » قال هذا بعد أن رسخه فى نفوسهم بسؤاله التقريرى : أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم العيد الأكبر قال : أى شهر هذا ؟ قالوا : شهر الله الحرام ، شهر ذى الحجة ، قال : أى بلد هذا ؟ قالوا : بيت الله الحرام .

وقد تحدث العلماء رحمهم الله عن الغيبة والنميمة ، وما فيهما من الاثم والوعيد ، و اعتبرهما الذهبى فى كتابه « الكبائر » : من كبائر الذنوب ، و بسط ما ورد فيها من أحاديث تخيف العاقل ، و تنبه الغافل .

و ما ذلك إلا أن لها آثاراً سيئة على الفرد و الجماعة ، بإثارة شحناء النفوس و البغضاء ، و تحريك الكوامن ، و ترويع المطمئن ، و إزعاج الغافل ، و إفساد المجتمع بما تتركه من آثار تنافى الأخوة التى يدعو إليها الاسلام .

و لذا قال ﷺ : « شر الناس من اتقاه الناس مخافة لسانه » .

و لا يشك أى إنسان ما للسان من آثار تتركه فلتاته فى المجتمع ، و توقد جـذوته وقائعة بين الأفراد ، فيتحول الحب إلى كره ، و المودة إلى بغضاء و الفرح إلى ترح و عناء ، و الصلة إلى تباعد و شحناء .

و هذا من الأضرار التى تلحق بالفرد و الجماعة ، و التى يحرص الاسلام بالقضاء عليها ، و اجتثاث جذورها .

لأن دعوة الاسلام إلى تكاتف و تعاضد و تآخى المسلمين ، حتى يفرح بعضهم بفرح الآخرين ويسعد بسعادتهم ، و يكونوا كالجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وشبههم رسول الله ﷺ بالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً ، بالفائدة و القوة و التماسك و الترابط .

ثم يأتى دور ترويع المسلم و إخافته ، أو إدخال السرور عليه ، فنى مجال الترويع سواء كان بخبر ضار ، أو مفاجئ تنهى تعاليم الاسلام عن ذلك ، لأن مبعث ذلك قد يكون الحقد أو التشفى ، أو سوء الفهم ، فنهت تعاليم الاسلام عن هذا رأفة بالأخ المسلم و مخافة على صحته و سلامة عقله ، حتى لا يترك ذلك أثراً ينعكس عليه أضراراً ظاهرة أو مستمرة : كالتعزية و الكذب و الظن ، و ما يسميه المقلدون للغرب فى دعاياتهم : بأكذوبة أبريل . أو الكذبة البيضاء ، أو محاولة الضحك على أخيهم أو غير هذا من أنواع المزاح ، فقـد قال ﷺ : « أنا كفيل ببيت فى الجنة ، لمن ترك المزاح و لو كان صادقاً » .

كما جاءت تعاليم الاسلام: تنهى عن التعزية ليلا ، لأنه موطن السكن حتى لا تدب الوساوس للنفس ، أو تفتح منافذ للشيطان للتسلط على النفس ، و حتى الاحداد لأكثر من الثلاث على المتوفى إلا للزوجة أربعة أشهر و عشراً ، و مد فترة الاحداد ، رأى الفقها أن التعزية لا تستمر بعد ثلاث ، وتعليلهم هـذا ، جاء من عدم الرغبة فى امتداد ما تتأثر به النفوس ويذكرها بالمصاب مدة طويلة .

و إلى الجانب الآخر تأتى التعليمات و الأدعية بالترويح عن النفوس و مشاركتها الابتهاج و إدخال السرور عليها .

فنى التعزية تخفيف المصاب ، و الدعاء للحى بالثبات وللميت بالمغفرة ، و فى زيارة المريض بتخفيف وطأة الألم على نفسه ، وبث التفاؤل بالشفاء و العافية فى نفسه ، و الدعوة له بالأجر و العافية مجتمعين .

وفى المسرات الأخرى من زواج و قدوم مولود ، أو عزيز مسافر ، أو برء من مرض . أو لمناسبة سعيدة مرت ، تبث الأدعية الكثيرة التى علمها رسول الله ﷺ أمته ، السرور و الفرح ، و تشعر بحرص أفراد المجتمع على إراحة إخوانهم ، و إدخال البشر و السرور على نفوسهم .

و هذا جزء من تعاليم الاسلام فى ترابط المجتمع الاسلامى ، و حتى على التماسك و الوحدة ، و اجتماع الشمل ، و إشاعة الألفة فى بيئة المسلمين باخوة صادقة ، وعلاقة مستديمة ، والحث على ما ينمى ذلك ، و يجدد الصلة ، كالتزاور فى المناسبات ، وبث السلام بين أفراد المجتمع لأن ذلك مما ينمى المحبة كما قال بذلك رسول الله ﷺ و التهادى بين الأقارب والجيران ، حيث إن للجار حقوقاً كثيرة يجب المحافظة عليها و رعايتها و لا أقل من أن تمده بمرقة لحمـة اشتريتها إذا لم تستطع إعطاءه منها شيئاً .

فالجار له حق عظيم حيث قال ﷺ : ما زال جبريل يوصينى بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه .

و ترويع الجار و الاضرار به يخرج المرء من الايمان كما قال ﷺ : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من ، يا رسول الله ؟ . قال : من لايأمن جاره بوائقه » .

و توعد رسول الله ﷺ بالجزاء الشديد : « من زنى بحليلة جاره » . ذلك أن الجار مؤتمن ، و تعمد إيذائه فى نفسه أو فى أهله أو فى أى شىء من شئون حياته ، إضرار بليغ ممن يرجى منه المحافظة و الرعاية ، و تخويف جاء من مأمن .

و يدخل فى جلب الفرح و السرور للنفوس تعهد الفقراء ، و البحث عن المحتاجين ، و مدهم بما يسر الله ، و ما تقدر عليه النفوس ، لأن ذلك مما يزيل عنهم الحقد والكراهية للاغنياء، ويعطيهم ثقة فى حرص إخوانهم عليهم، ورعايتهم لأحوالهم ، و شعورهم بالاهتمام و المتابعة .

إن الاسلام فى سائر أحواله ، و ضمن تعاليمه و شرائعه ، يعطى النفس المسلمة مكانتها من الكرامة و الاحترام ، و الرعاية و الاهتمام ، فيحافظ عليها و يرعاها و يحميها من أية نزعة تشعر بالحقد و الكراهية أو البغض و الشحناء ، فهو دين يدعو لترابط المجتمع و تماسك الأخوة ، بدافع المحبة ، و الحرص على إسعاد الآخرين ، و جلب السرور لهم .

و ما ذلك إلا لأنه دين متكامل ، عرف دوره مفكرو الغرب ، قبل أبناء الاسلام فقال بعضهم كلمته المشهورة : لو طبق المسلمون تعاليم دينهم ، و ساروا على ذلك منهجاً لتحولت بلاد الغرب إلى الاسلام دفعة واحدة، فهل نترك تقليدهم و نبحث عن نفائس كنوز ديننا لنطبقها فى أنفسنا ثم ندعوهم إليها نموذجاً واضحاً..

هذا ما نرجوه فلعلنا ندرك ذلك ؟ .

وضع الأسرة فى الاسلام

للدكتور توفيق محمد شاهين
مدير المركز الاسلامى فى أتاوا ـ كندا

شرع الاسلام مبادىء تحدد مدلول الطبيعة الاجتماعية لبناء الانسان على مستوى الفرد ، والأسرة ، والجماعة أو المجتمع العام ، على أسس حكيمة وعادلة... وكان ذلك لتصعيد الانسان ـ الذى جعله الله خليفة على الأرض ـ إجتماعياً ، و إعطائه أسساً ملهمة لما يجب عليه من مظاهر السلوك والعلاقات على أساس إنسانى لمجتمع أفضل و أمثل .

فعلى مستوى الأسرة وما يسيرها من علاقات حدد الاسلام مبادىء سامية فى مظاهر السلوك : فللاسرة قوامة يتحملها من أهل لحملها ، و عليها مسئوليات : فدخول البيوت باذن ، وغض البصر واجب ، و الاعراض عن اللغو مطلوب ، والتحاب و التواد مرغوب فيهما .

وبالنسبة لكل ما من شأنه زعزعة البناء الأسرى، وفيه خطر على بنيان الأسرة و استمرارها . . فالاسلام يحسم الأمر فوراً وقطعاً بالردع المحذور دون تردد : فالموؤدة ستسأل : بأى ذنب قتلت ، والمسلم يمارس الجنس النظيف و العفيف بالزواج وعدم الاقتراب من الزنا ، لأنه « فاحشة ومقتا وساء سبيلا » ، والمسلمون و المسلمات راعيات و حافظات للعفاف و الطهارة ، و حافظون ، وكل أفراد الأسرة الصغيرة و الكبيرة مؤدبون لا يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا .

و الزواج اقتران إنسان بانسانة ، وتحمل المسئوليات المرتبة عليه لأنه زواج الحقوق و الواجبات ، و بشهادة الله و رسوله ، و الميثاق الغليظ .

و وجد الاسلام نماذج لا ترضى — قبل رسالته — من صور الزواج ، و حقوق الزوجين و واجباتهما و تعدد الزواج بلا حد ، و التعسف فى استعمال حق الطلاق . . و كان لا بد من علاج من الاسلام كخاتمة لأديان السماء . . ولم يكن الأمر سهلا فى الخيار : فالبتر للمسائل و الحسم مع الشيوع و العموم يعرض المجتمع لاهتزاز البنية كلها . . فكان لا بد من التدرج و الحصر و الاحاطة بالضمانات التى تهذب وتصلح وتعدل من السلوك ، تمهيداً للاذابة دون ردود عكسية ، فاختار الاسلام هـذا الحل الوسط ، لأنه الدين الوسط ، الذى جعل ارتباطه كيانياً بين الانسان و الكون و المادة و الروح : فالانسانيـة فى وحدته متناسقة متحدة منسجمة متناغية غير متنافرة .

و قوام الأسرة فى الاسلام زواج يتسامى بالانسانية ، مؤلف من زوج و زوجة و ثمرته بنين و حفدة ، و تترتب عليه مسؤوليات وحقوق و واجبات ، لا زواج جسد ومتعة يولد صراعاً خفياً بين حيوانية الغرائز المندفعة و الأنانيـة المتحكمة ، و الطمع البـادى و المستتر . . فيمزق الانسان و يحيره بين مثل يتغنى بها مظهرياً ، و يتنكر لها سلوكياً .

فقد أعطى الاسلام المرأه حقها من العناية و الرعاية و التقدير ، وسوى بينها و بين الرجل فى الاعتبار البشرى و شئون الدنيا و الدين ، « بعضكم من بعض » و فى إطـار طبيعة تكوينها و إمكاناتهـا حدد لها الدور الذى تستطيع القيـام به للاسهام فى الحياة و الاسعاد ، فالنساء شقائق الرجال .

و أى باحث منصف لا ينكر أن الاسلام أعطى المرأة من الحقوق ، و أكسبها من المنزلة ما لم تكن قط لأختها من قبل ، ولن تنالها أخرى من بعد ، لأن الاسلام ما كان ليغفل حقها و واجبها وهو المنهج الثابت المرتضى للحياة .

وطرح النقاش و إثارة الجدل القيم حول هذا الموضوع بين الماديين والملحدين إنما هو من قبيل الفتنة ، و لاحلال العقائد الاجتماعية أو القومية أو الوطنية محل العقيدة الدينية ، و لزحزحة هذا الدين عن طبيعته و وظيفته كمنهج حياة متكامل ، « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات و الأرض طوعاً و كرها و إليه يرجعون (آل عمران ٨٣) إنما يكون ذلك من أصحاب الزيغ فى التفكير .

ولكل من الجنسين ما هيأته له طبيعـة الخلق و التكوين بما يحقق الدور المطلوب و الصالح ، بما يحقق الهدف و يدفع إلى الغاية ، فكان هنـاك الداعى و المستجيب ، و المريد و المتقبل ، على أن يقوم كل بدوره فى نجـاح و إيجابية بدفع قوى و إنسانية و رضاء .

أما حق الرعاية و المعيشة للمرأة فقد كفلته شريعـة الواجب فى الاسلام ما كفلته للذكر سواء بسواء ، و عند البحث و المقارنة لا نجد دستور قانون أو دين سابق ، سبق الاسلام فى هذا : فللمرأه حق التملك ، و الارث ، و التجارة ، والتصرف . . . مع أن لها حماية الفرض الواجب ، بنتاً ، و زوجة و أختاً وأماً .

ولا عائق لحرية المرأه فى الاسلام حيث تجب الحرية و تقتضى المصلحة ، اللهـم إلا حافظ الحرمات ، و آداب العفة و الحياء ، و مانع الغواية و التبرج و الفضول . . . بما يضر ولا ينفع ، ويشق ولا يسعد ، ويهدم ولا يبنى .

و هكذا يؤكد الاسلام على جعل أخلاقه فى القلب و السلوك ، كنظام عضوى ، شديد التماسك ، قوامه عقيدة دينية راسخة ، و تشريع وقيم أخلاقية ، للتطبيق العملى ، لا مجرد نظريات باردة مبتوتة الصلة بواقع الفرد المسلم .

و من سماحة الاسلام أن شرع المساواة بين الرجل و الأنثى على أسـاس الحقوق و الواجبات « و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف » و للواقعيـة لا يكون

من العدل عموم المساواة فى كل الاعتبارات ، مع التفاوت فى الخصائص التى كانت مع أصل الخلقه ، و مقتضى الطبيعة ، وما تترتب عليه الحقوق والواجبات.

ومن ثم كان « للذكر مثل حظ الانثيين » (النساء/١١) بمازاد فى واجبه ، « فسبحان الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » و ذلك لتهيئه المجتمع الأمثل فى عدالة توزيع المسؤليات ، و ترتب الحقوق و الواجبات ، بمقتضى تكليف ، قوامه مراعاة الجهد و الطاقة ، و النفع و المصلحة ، و المناسبة للبيئة و الزمان .

و الزواج فى أشرف معانيه شريعة إسلامية ، به عمارة الكون ، و ازدهار الحضارة ، و ذكر للانسان ، وحقيقته السكن الروحى والنفسى والجسدى ، والمودة الصريحة ، و الرحمة السابغة ، و الانسجام ، و رعاية المشاعر و الأحاسيس ، فى محبة و تقدير متبادل ، و إحسان و كفاية ، وتعاون مثمر فى تثبيت كيان الأسرة صغيرة أوكبيرة (وبالتالى يحمى من أضرار الانحراف والشذوذ وأمراض التحلل)

و للمرأة حرية الرضاء و اختيار الزوج ، و فرض الاسلام صداقها - مادياً ومعنوياً بمالا حد لأقله ولا لأكثره - تكريماً لها وتشريفاً ، وأوصى الزوج بصيانتها و إعفافها ، و الصبر على ما لا يرضاه منها ، لتقلب مزاجها و طبيعتها ، والخيرية لمن يحسن عشرتها - و عرفت الأديان السابقة تعدد الزوجات بلا حصر ، فهذب ذلك الاسلام و حدده و أباحه للضرورة الملجئة .

فاذا عرض ما يكدر صفو الحياة ، ولم تجد المساعى الحميدة والمستطاعة لاصلاح ذات البين ، فلا مفر من القسوة المكروهة بارتكاب أبغض الحلال إلى الله تعالى وهو « الطلاق » باحسان : رجعى ، على أمل التقارب و استئناف الحياة السعيدة ، أو البائن حين لا يغير الانتظار الأمر والواقع المرير ، فيكون الطلاق حلا يضع حداً لمصاعب و متاعب لا تطاق ، وقد أباحته الكنيسة حديثاً بموافقة اثنى عشر

ألف كردينال كعلاج لحالات استعصت على الحل وتأبت على السهولة : « فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان » (البقرة ٢٢٩) « و إن يتفرقا يغن الله كل من سعته ، و كان الله واسعاً حكيما » (النساء /١٣٠) .

و بذلك نجد الاسلام فى زمن بسيط عبر عن حلول عملية معقولة ، ما لم تستطع أديان أخرى تكملته خلال قرون ، فما أبيح الطلاق و هو بغيض كريه إلا لما هو أشد منه بغضاً و كراهة .

و لم يغمط الاسلام حق الرجل ، و هو القوام (من القوامة) فأعطاه درجة تفضيل ، تقتضيها الفطرة والواقع و الواجب أولا ، واجب السعى والانفاق ، و التفوق العام فى المجالات التى أكد الزمن تفوق الرجل فيها و فى المجالات التى تسابق فيها الطرفان ، فسبق الرجل فى كل أطوار التاريخ منذ فجره حتى معاصرته .

ولم يكن حرمان المرأة من هذه الدرجة تعنتاً ، لأن الطبع والمشاهدة أكدت حق الرجل فيها : فى الأسرة ، والحياة الاجتماعية ، ولم تكن للمرأة بها طاقة لتوليها ، و هذا - على كل - لا يغض من شأنها ، و حسبها أنها شقيقة الرجال ، تسهم فى مجالها بالعطاء و التضحية و الوفاء .

و فريضة الواجب فرضت للزوج حسن الرعاية و الطاعة ، و الاحترام و التقدير ، و حفظ النفس و المال و العرض ، و حسن التدبير للعيشة و العناية بالأولاد ، و نشر أريج السعادة فى المنزل .

و كان حافز الطاعة مثيراً ، و دفعه قوياً فى جانبى المرأة و الرجل كزوجين بين الأولاد من جهة أخرى ، فان أطاعت زوجها دخلت جنة ربها ، و أولادها يطيعونها ، لأن الجنة تحت أقدامها .

ومن هذا و ذاك نجد الاسلام كرم الانسان من حيث هو إنسان ، بقطع

النظر عن جنسه والاعتبارات البشرية الأخرى : «ولقد كرمنا بنى آدم» (الاسراء/٧٠) لأن له رسالة و خلافة فى الأرض يجب عليـــه أن يؤديها و أن يحافظ عليها ، حتى يرتفع إلى قمة الانسانية .

و حين يشيخ أو يقعد عن الكسب ، تبدأ رعاية الأبناء له عطفاً و براً ، و هوادة و رحمة ، و حناناً و إحساناً ، و الأمر يدور على الجزاء و العاقبة ، لذا يقول الرسول الأكرم - ص - « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

و جاءت نماذج القرآن الاجتماعية ، وما يحكيه الرسول - ص - من نماذج عالية ، توحى بالقدوة و الأسوة ، و تجيز الأصلح وتشير باتباعه ، ليصل الانسان الكامل إلى مجتمع أكثر كمالا ، ثم يكون نموذجاً فذاً لما يجب أن يكون عليه إنسان الحياة ، الذى يجد فى الاسلام خير تشريع ، يؤكد فى واقعية و بساطة « قارية المجتمع » و « مظاهر حركيته » ، عبر روح عملية بناءة رائعة .

و المال و البنون زينة الحياة الدنيا ، و الأولاد ثمرة الزواج المبارك ، و أكبادنا التى تمشى على الأرض ، و عماد المجتمع و أمل المستقبل ، ولهم لذلك فى الاسلام حظهم من العناية والرعاية و التربية ، لأنهم على - أوفق الآراء - حق المجتمع كما أنهم حق الوالدين ، و من ثم ، فحقهم الاستقبال باسم الله ، و شكره على الأنعام بهم ، بما يرجى معه الاستزادة : « لئن شكر تم لأزيدنكم (إبراهيم/٧) و ملاعبتهم رحمة و توجيههم واجب ، و تربيتهم التربية الحسنة عبادة .

و قـــد أثبتت البحوث الحديثة فى المؤتمرات المعاصرة : أن حضانة الأم لطفلها حصانة ، و إرضاعها له غذاء و شفاء ، و مكوثها معه خير قدوة و عامل أمان ، و أثبتت التجارب المعمليـــة أن أى جهاز غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها ، و لا يخلو من الأضرار ، فضلا عن أن نموه الجسمى و العقلى و النفسى

حين يلتصق بأمه فيسمع دقات قلبها ، و يرضع ثديها . . يكون أصح من غيره صحياً ، و نموه أسرع من غيره حين ينشأ فى المحاضن الجماعية .

و أخيراً فقط اكتشف الغرب فضل وصايا الاسلام ، يقول (ساموبل سمايلز الانجليزى) : « إن النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى المصانع مهما نشأ عنه من الثروة فى البلاد ، فان النتيجة كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ، لأنه هاجم هيكل المنزل ، وقوض أركان الأسرة ، وفرق الروابط الاجتماعية ، و لأنه يسلب الزوجـــة من زوجها و الأولاد من أقاربهم بنوع خاص لا نتيجة له إلا اهتزاز أخلاق المرأة ، إذ أن وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية ، مثل ترتيب مسكنها ، و تربية أولادها ، و الاقتصاد فى وسائل معيشتها ، مع القيام بالاحتياجات البيتية ، و لـــكن المعامل تسلبها من كل هذه الواجبات ، بحيث أصبحت المنازل غير المنازل و أصبح الأولاد يشبون على غير التربية التى تلقى فى زوايا الاهمال ، فاختفت المحبة الزوجية ، و خرجت الزوجة عن كونها الظريفة و القريبة و المحبة للرجل و صارت الزميلة فى العمل و المشاق ، و باتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والأخلاقى ، الذى عليه مدار الفضيلة ، فالخلل جاء نتيجة لمزاحمـــة الرجل فى اختصاصه بغير حاجة ملجئة ، و صدق رسول الله - ﷺ - حين قضى على ابنته فاطمة بالعمل فى المنزل ، وعلى زوجها الامام على - رضى الله عنهما - بالعمل خارجه ، و ما أصوب و أحـــكم قوله - ﷺ - : « ألا كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته » و يبادل الأولاد آباءهم و أمهاتهم الجميل إحسانا و رعاية و طاعة و خضوعاً و رحمة .

و الفرد فى دين الاسلام له كيانه و اعتباره ، وهو للجماعة و الجماعة له ، وهم جميعاً متساوون فى الاعتبار البشرى ، و تحميلهم المسؤولية - أفراداً وجماعات -

إشعار لهم بالقيمة الانسانية و تقدير لسلوكهم بعد أن أهلوا لذلك ، و هم بعدئذ مسئولون عن هذا السلوك رشدا أو غياً « إنا هـديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » (٣ م : ٧٦ الانسان) .

و آثار تلك المسئولية تعود إلى الفرد نفسه أولا ، و بعض آثارها يرجع إلى مجتمعه الصغير أو الكبير بعد ذلك ، و من ثم فهى مسئولية تضامنية ، كل كل يتحملها و يسهم فيها بطرف و مسئول عن رعايتها :

فللزوجة حقوق - وإن كانت كتابية - على زوجها بالمعروف ، وعليه مسئولية الرعاية الداخلية للبيت و الأولاد ، وللزوج حقوق عليها تواكب مسئوليتها كانسانة رشيدة تقوم بواجبها ، و على الوالدين حسن توجيه و تربية الأولاد ، و التعرف على منهج الاسلام كرسالة و غاية فى الحياة ، إذ « كل مولود يولد على الفطرة ، و إنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » - كما أخبر الرسول - ﷺ - .

وحق الوالدين على الأبناء بعد بلوغهم سن الرشد ، الرعاية و الطاعة والعناية و الرحمة و الاحسان .

و المجتمع يرعى الفرد ، وهو بالتالى يرد الجميل له ، جزاء إحسان باحسان .

و يتسامى الاسلام فى تبعات الحقوق و الواجبات و المسئولية ، حين : « يدفع أفراده للايثار لا الأثرة .

لأن الحرية و المسئولية الممنوحة لهم لم تكن حرية شهوة و هوى و أنانية ، و إنما كانت دفعاً ذاتياً للانسانية نحو الأكمل و الأفضل ، فكانت الواجبات قبل الحقوق ، و كان الايثار قبل الكفاية درجة فضل : « و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة » (٩ م ٥٩ الحشر) .

و إذا عزت درجة الايثار فلا أقل من تكافل الاشعريين ، حين كانت

تنوبهم الخصاصة ، فيجمعون ما عندهم بغية القسمة بينهم بالسوية ، يقول رسول الله - ﷺ - فى حقهم لصنعهم المسئول : « هم منى و أنا منهم » . . . !!

و وضع المسلم و المسلمة هكذا فى دائرة الواجبات و المسئولية ، تحت رقابة ذاتية ، يوجه الأفراد و المجتمع لاتجاه واحد ، و حركات متناسقة متصلة للانتاج الكمى و الكيفى ، ابتغاء وجه الله فى محبـة و قوة ، و بابتغاء العزة ، لا انتظاراً لحافز مادى كشأن الماديين و الملحدين ، ممن أهمتهم المادة و الانسان ، و ليس الله خالق الانسان ، و لذا حذر القرآن المعجز من اتباع الماديين و الملحدين ، حينما نستمع لقوله تعالى فى أول سورة إبراهيم : « الر ، كتب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد «١» الله الذى له ما فى السموات و ما فى الأرض و ويل للكافرين من عذاب شديد «٢» الذين يستحبون الحياة الدنيـا على الآخرة و يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد » (٣ م : ١٤ إبراهيم) .

فمن صفاتهم تفضيل متاع الدنيا على الآخرة و العمل لها ، والصد عن سبيل الله بالغواية ، وعدم الاستقامة ، وتشويه قيم الاسلام بالضلال والاضلال ، و مع ذلك فكيد الشياطين ضعيف ، و ظلام الدنيـا لا يحجب شمعة الحق ، و الحق أحق أن يتبع .

و لكن المفسدين يتصدرون التوجيه بعيون معصوبة ، و عقول مقفولة ، و قلوب زائغة ، و عليها أقفالها المحكمة ، فامتد خطرهم و نشاطهم إلى آفاق بعيدة ، ونواح عديدة . . (وكانت المرأة هنا الهدف و كانت صيحات ما يسمى « حركات تحرير المرأة » بغرض إلغاء آثار الذكورة و الأنوثة ، و التغيير الشامل فى العلاقات الاجتماعية و الأسرية و الجنسية ، على نحو ما يحكيه الأستاذ الدكتور محمد البهى

فى كتابه (خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر) حين أشار إلى هذا التغيير المطلوب و المزمع إلى :

مساواة الطفل غير الشرعى بالطفل الشرعى ، و قد نجحت فى ذلك البلاد الاسكندنافية .

و إلى عدم اعتبار الزنا سبباً خلقياً يبرر مسئولية الزوجة فى طلاقها من زوجها ، و قد ألغى الآن فى الدانيمارك .

وإلى إباحة المعاشرة الجنسية فى غير علاقة زوجية ، فى علاقه صداقة أو فيما يسمى بزواج المجموعة أو فى تبادل الزوجات و الصديقات ، و إباحة العرى فى المجتمعات العامة ، و تم ذلك فى السويد و غيرها .

و إلى جعل الطلاق حقاً للزوجين دون تدخل من الدولة عن طريق القضاء ، و نفذ ذلك فى رقعة كبيرة من الأرض .

وإلى تيسير قيام «الزوجية» لمن هم دون العشرين وفوق السادسة عشرة بدون الحاجة إلى إذن الوالدين و الأهل .

و إلى إباحة عرض أفلام الجنس فى توضيح « العلاقة الجنسية » ، و الحمل و الولادة .

و إلى إباحة نشر الصور العارية و كتب و أفلام الاثارة الجنسية ، و فتح معرض عالمى فى الدانيمارك سنة ١٩٦٩ م لذلك .

و توجيه الشباب منذ المرحلة الأولى فى المدرسة إلى معرفة الجنس من بدء الحمل إلى وقت الولادة .

و إلى إباحة « اللواط » بين الرجال و « السحاق » بين النساء فى قوانين المجتمع ، و يشترط فقط فى إباحة اللواط بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

و تيسير رعاية الأم فى غير علاقة زوجية ، وتيسير إسقاط الجنين و تناول حبوب منع الحمل ، و جواز التلقيح الصناعى من غير ماء الزوج ، بشرط موافقة الزوجين .

و قد ساعد على كل ذلك ما تميز به العصر الحديث من تقدم و ثورة فى الاقتصاد و الصناعة والاجتماع و السياسة و التقدم التكنولوجى الهائل . . و ترتب على ذلك فى إيجاز :

اهتزاز القيم الانسانية فى نفوس الشباب .

و الثورة على الأوضاع المعروفة و التمرد على كل سلطة توجيه .

و عدم المبالاة بأى قيم أو أعراف و التخلى عن المسئولية .

تشجيع حفلات الشباب و اختلاطهم فى كل المجالات للانطلاق من كل قيد باسم « الجنس من أجل السلام » . . إلى آخر هذه العوامل التخريبية و التى انتشرت انتشار النار فى الهشيم ، و تهدد بخطر داهم لا يبقى و لا يذر (و تتركز الحملات باستمرار ضد الاسلام و المسلمين ، محاولة لتشويه معالمه ، وزحزحته عن التوجيه باسم « العلمانية » والحط من قيمته لتنفير أبنائه منه ، وإخراجهم من دائرة الاعتقاد به ، و إهمال تعاليمه .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون (سورة الصف : ٦١) .

و جدير بالمسلم أن يعتصم بدينه ، ويعتز باسلامه ، و يحاول جهده أن يقيم دولة الاسلام فى أسرته ، تمهيداً لقيامها فى الدولة الكبيرة بفضل الله .

و يحذر جهده هذه الصيحات الهدامة و العلاقات الآثمة الشاذة ، فما نتج عنها سوى الانحلال و التحلل و الانحراف ، فضلا عن فشو الأمراض الجسدية

و النفسية و العصبية مما دمر جو الأسرة ، و عكر صفو المجتمع ، و أجج نيران العداوة و البغضاء ، و أهاج أمواج الشك و الريبة . . و قد أخبرنا رسولنا ـ ﷺ ـ بأنه . (ما ظهر الفاحشة فى قوم يعمل بها فيهم علانية . . إلا ظهرت فيهم العلل والأوبئة التى لم تكن فى أسلافهم) و كفى برعب الايذر ، والأمراض السرية واعظاً .

و ما زاد انحلال الغرب و انحداره إلا أواراً و سعاراً ، وتأثيراً ضاراً على الجهاز العصبى ، و خواء الروح ، و اهتزاز المقدمات الأساسية للذات ، و صدق الله العظيم : « و تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا و جعلنا لمهلكهم موعـــداً » (الكهف : ١٨) .

و ستبقى المسيرة الخالدة للاسلام حين قادهـــا بتوازن مقدس بين المادة و الروح و الجسد و النفس ، و من ثم تدخل بالتشريع ليحل النافع و يحرم الضار و ما يزعج .

« صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » (سورة البقرة ١٣٨) .

و سيظل الأمل يراودنا فى إشراقة الاسلام تطل على الدنيا من جديد .

« و يسألونك متى هو ؟ قل : عسى أن يكون قريباً » .

و يؤكد الفيلسوف الألمانى « شبنجلر » أن « الدورة الحضارية القادمـــة فى الأفق ستكون حضارة الاسلام » .

« و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل » (الأحزاب ٣٣) .

الانتاجات العلمية و نشرها

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء
تعريب : الاستاذ إبراهيم الردولوى

إسهام الأقلام و دورها فى التربية الاجتماعية :

ما فتئ القلم يساهم مساهمة كبيرة فى التربيـة الاجتماعية بمالا يستهان به و قام بأداء واجبات أولية نحو تهذيب الأخلاق و توعية العقول الانسانية و قد ذكره القرآن الكريم فى سياق التنويه و الاشارة بدوره و بيان أهميته فقـال سبحانه فى سورة إقرأ « الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (الآيتان ٤-٥) وفى سورة النون « ن ، و القلم وما يسطرون » (الآيتان ١-٢) وتتبين أهميـة القلم بوضوح عند ما ندرس تفسير الآيات السابقة و نتعمق فيها بالتفكير الخاص .

و مما لا يعتوره شك أن القلم أداة ناجحة لتخليد العلوم و التجارب و المشاهدات و مآثر السابقين التى خلفتهـا لنا صدورهم ، فاذا حفظت هذه العلوم والمشاهدات وتقيدت ، اطلعت عليها الأجيال المتلاحقة وانتفعت بها ، وبالتالى تطلع على تجاربهـا و علومها و تنتفع بهـا ، و بذلك يسهل على الانسان الاستفادة فى وقت قصير من علوم وتجارب كثير من العقلاء و الحكماء وذوى الخبرات السالفين إلى جانب علومه و تجاربه و احتكاكاته بالشئون العديدة فى حياته ، و كل ذلك دليل على دور القلم المجيد الذى يسديه إلى الانسان فى حياته .

دور القلم قبل اختراع الأوراق الصناعية و بعده :

من المعلوم أن القلم ينقل الأفكار و الآراء المختلفة إلى الورق مكسوة لباس الألفـاظ و الكلمات ، و لـكن الناس قبل تصنيع الأوراق و اختراع آلاتهـا

و ماكيناتها كانوا يحررون على كل شئ يصح أن يكون صفحة و يصلح للكتابة من الحجر ، الخشب و العظم و أغشية العجماوات ولحاء الأشجار ، إلا أن هذه الطرائق و الأشكال كلها كانت معرضة للمشاكل والصعاب وعسيرة المنال كما كانت تكلف الانسان بمبالغ باهظة بالاضافة إلى قلة تمكنها من الرواج و الشمولية ، و محدودية عوائد المجهودات المركزة فى سبيلها فى إطار غير فسيح و كما يغلب على الظن أن هذه الأسباب نفسها كانت عرقلة فى سبيل حصول التعليم بواسطة الكتاب على القبول و الرواج بين القدماء ، و لئن كانوا قد استفادوا كثيرا من المخطوطات و الجهود القلمية ، و من حق أن الرواسب العلمية التى نمتلكها إنما وصلتنا عن واسطة هذه المساعى و الجهود الكريمة ، ثم وجدت صناعة الأوراق و تزايدت تسهيلات فى القيام بأعمال الكتابة و التأليف و التحرير .

المطابع :

ثم توسع نطاق انتشار الكتب و مجال الاستفادة منها بكثير يتجاوز القياس بعد أن شهد القرن الماضى (التاسع عشر) اختراع المطابع و تيسر الحصول على الكتب النادرة و النفيسة بفضل الطباعة بأثمان رخيصة و زهيدة نسبياً .

المخطوطات :

تزداد قيمة الكتاب وأهميته فى نفوس طلابه على أساس قيمة العلم والأدب و أهميتهما اللذين يتضمنهما الكتب ويحويهما و على قدرهما يسعون فى تحصيله ، ففى عصر المخطوطات كان التلاميذ يدخرون لأنفسهم ثروة علمية بنسخ بعض الكتب القيمة بأقلامهم والذين لا يسعهم الكتابة أو النسخ بأنفسهم كانوا يستكتبونه من أحدهم على الأجرة ، ولأجل ذلك وجدت فى ذاك الحين دكانين خصصت للنقل و النسخ على الأجرة ، كانت شئونها الادارية بمثابة معمل أو مؤسسة تجارية

فى هذا العصر ، و كان أصحابها يعرفون بالوراقين ، كانت هذه الدكاكين تتنق جياد الكتب و أهمها فى الموضوعات المختلفة و تزدان بها و بالتالى تكون مكتبة كبيرة يتردد إليها الناس للدراسة و المطالعة ، و ما أعجبهم منها يدفعونه للنسخ ثم يودعونه فى مكتباتهم الخاصة ، و على هذا المنوال وجدت المكتبات و راجت و اتجه الناس إلى تخصيص أمكنة لها حتى و تشييدها ، فازدهر العلم بذلك و زاد نماؤه و خصوبته بالطبع .

بعد ظهور المطابع :

و على انتشار المطابع تذللت هذه الصعاب وجاء دور النشر فصدرت الكتب رخيصة سهلة المتناول وبقدر وافر ولكن مصروفات الطباعة بالمجموع تكلف نفقات باهظة خصوصاً إذا كانت النسخ ضئيلة الأعداد ، و لذلك تطبع الكتب بكميات كبيرة لتتوزع التكاليف على كل نسخة بقدر مناسب فيخف الثمن على الراغبين فى شرائها عند الحاجة و يتحملونه بسهولة ، ولكن الذى يهتم بنشرها لا يستعيد هذه التكاليف فضلا عن العوائد إلا إذا تم بيع معظم نسخ الكتاب المطبوع .

و نظراً إلى هذه المشاكل لا يمكن كل شخص و لو كان راغباً بأعماق قلبه وألف أمانيه فى الطباعة ، أن يتجرأ على الطباعة بسهولة لأن النسخ إذا لم تستهلك فى السوق تذهب مصروفاته مهب الرياح و يعود بخسائر فادحة .

مستلزمات الطباعة و النشر :

تقتضى طباعة الكتب تضافر ثلاثة أمور هامة : قيمة الكتاب و صلاحيته للطباعة ، واستطاعة تحمل التكاليف التى تكلفها الطباعة ، و إعداد محلات لبيع النسخ المطبوعة و احتياجات الناس إليها ، فان انعدم شرط من هذه الشروط الثلاثة لا ينال الكتاب القبول و الرواج و الاستجابة من الناس .

الانسان لا يقدم علمه فى صورة كتاب إلا إذا اطمأن قلبه و اقتنع بأن

القراء سيشترون الكتاب و يقبلون عليه بالدراسة و الاستزادة فان لم يجد الكتاب استجابة من القراء لا ينتفع من تأليفه بل ويضيع لأن من يشتريه يشتريه شعوراً من نفسه بقيمة الكتاب و أهميته و نفعيته و المتعة التى يجدها فيه . و كذلك إن لم يستطع تكاليف الطباعة لا يمكن إخراجه و إيصاله إلى الراغبين فيه .

عسير أن تجتمع هذه الشروط الثلاثة فى واحد عادة ، و بدونها إذا أعد المؤلف كتاباً و لكنه لا يملك وسائل النقل و التوزيع و إيصاله إلى الراغبين يذهب عليه بلا عائد ، و إذا قدرت له الطباعة و لكن لا يستطيع لفت أنظار الراغبين و بعث الشوق فى نفوسهم تعود عندئذ جهوده خائبة خاسرة كذلك .

دور النشر :

و قد تلافت هذه المشكلة و تقريباً قضت عليها دور النشر و التوزيع فى عصرنا الحاضر فأصحابها يتعامدون الكتاب و المؤلفين على التأليف و الكتابة و يطبعون مؤلفاتهم و كتبهم على نفقاتهم و يسعون فى الدعاية وإصدار إعلانات المبيعات ، و الدعاية و الاعلام فن من الفنون له دور عظيم فى ترويج البضاعات و بفضل هذا الفن قد تحل بعض المؤلفات الوضيعة و الركيكة محل الكتابات القيمة الرفيعة ، وبعض الناس يملكون قدرة خارقة فى هذا الفن ويتصفون بمهارة كبيرة ، و قد عاد ذلك فناً مستقلا له دوره فى طريق التعليم المنهجى و المبرمج .

العوامل الفعالة فى نشر الكتب :

لسمعة المؤلف وجمال الطباعة والاخراج ومظهرهما الجميل الأثير فضل كبير فى انتشار الكتب وإقبال الناس عليها وربما يعمل فى ذلك عمله ارتباط موضوع الكتاب بمناسبة خاصة و وقت ملائم أو بالمشاعر و العواطف العامة ، فالأذكياء اليقظون من أصحاب القلم يتحينون الفرص المواتية للموضوع وبذلك تتكلل مؤلفاتهم بالنجاح والقبول العام ، كما أن بعض دور النشر تستكتب أهل القلم مراعاة للاوضاع السائدة

و المتطلبات العصرية و ما تميل إليه العواطف القومية و الشعبية فتطبع و تنشر ما يدر عليها بالنفع العظيم و ترمح تجارتها فوق القياس ، و لكن هذه النظرة لا تكترث فى الأمور بما هو حق أو باطل أو بما فيه غيرة ونخوة أو ميوعة وفضيحة و هل هو قسط أو شطط و إنما تضع فى حسابها الحصول على ضخامة الربح و كثرة المال ، وهذا هو السبب فى تلقى الكتب الصادرة فى موضوعات الخلاعة و المجون و المتع الغريزية و ترفيه النفس للاستجابة والاقبال خصوصاً من الشباب اليافعين و الذين لم يدركوا الحلم ولم يبلغوا الرشد ، و الناس يربحون عن هذا الطريق مكاسب بالغة سواء أكانوا كتاباً أم أهل المطابع و دور النشر ، و تسير التربية العقلية و العاطفية لقراء مثل هذه الكتب على هذا النهج المعوج و الأفكار الهدامة و الأخلاقية الرذيلة السافلة .

الموضوعية فى نشر الكتب :

و لكن الذين ينشدون الحق والصدق و يذهبون إلى الموضوعية و يجعلون كل ذلك نصب أعينهم يتوخون فى الطباعة و النشر أهدافاً سليمة بناءة و جادة متينة و إن لم يصيبوا من خلالها منافع كثيرة ، ولا تدرج تحت موضوع التربية الاجتماعية إلا تلك الكتب و المطبوعات التى تمد فى معرفة القراء و ثقافتهم و تخدم إصلاح الأخلاق و الدين و تحقق الأهداف التربوية وهى وحدها تكون هادفة بناءة ، و لأجل ذلك قلما يتحقق نشر الكتب و المؤلفات و ترويجها على جهود فردية و لكن دور النشر و مؤسسات الطباعة و المجامع العلمية غالباً ما تقوم بهذه الخدمات على طريقة ناجحة و جيدة .

المجامع و الأكاديميات :

من جهة الأهداف و الرؤى نجد دور النشر تنقسم إلى قسمين ، فمنها ما تركز من أعمالها على الأهداف التجارية وحدها وأخرى لا تروم إلا الأهداف العلمية

و الثقافية ، فالأولى منهما لا تصرف اهتمامها كثيراً إلى جانب الموضوعية و البناء إلا أن مطبوعاتها لا تقل فى التأثير على قرائها بل تستمر عليها تربيتهم الأخلاقية و العقلية و ينشأون على المعانى و المحتويات التى تحويها تلك ، و لكن الثانية لا تغفل هذا الجانب المهم من التربية السليمة الواعية وإنما تضع الموضوعية و أهدافا مخططة نصب أعينها وتعطيها الأولية و تعرف بالمجامع و الاكاديميات ، و كثيراً ما تضم إلى محيطها ، الكتاب و المؤلفين الموظفين بل و تصنع الكتاب و المؤلفين و تربيهم تحت إشرافها و تدريبهم ، وقد تقوم بتحضير الوسائل الكفيلة باكتشاف الموضوعات الجديرة والمفيدة التى تدعم و تؤازر أهداف المجامع المرسومة و تدعو لدراستها اجتماعات استشارية وتعقد ندوات لاجراء المذاكرات العلمية وتكون مكتبة قيمة غنية بالكتب والمراجع التى تتعلق بالموضوع وتعين فى تحقيق الهدف وتربية الكتاب و تخريج مجموعة كفيئة قادرة من المؤلفين و تسهيل العقبات فى طريقها .

مشاكل المجامع :

وبما أن أعمال المجامع أوالأكاديميات قليلة العوائد ضخمة التكاليف تلجأ إلى طلب الاشراف من الحكومة و دعمها المادى أو إيجاد علاقات مع التجار وأصحاب الخير و الاشتغال بتعامل تجارى للحصول على دعم مادى لتمويلها و تزويدها بالمرافق و الاحتياجات اللازمة .

و لعموم التعليم و الدراسة فى عصرنا الحاضر تؤدى الكتب و المؤلفات الصادرة عن الطرق العديدة التى أسلفنا ذكرها خدمات جليلة نحو التربية الاجتماعية ، و كلما جاءت هذه الانتاجات و الصناعات العلمية موصولة بقوانين الدين و قواعد الأدب و الأسس العلمية و المبادىء الاصلاحية تكون أكثر إثراء و إجداء للاهداف السابقة ، وكلما تباعدت عنها و تجانبتها تزداد بطالتها وتنعدم نفعيتها و إقرارها لهذه الأهداف بل و قد تسبب لها أضراراً و عواقب سيئة .

(يتبع)

دراسات و أبحاث :

مبادىء و اقتراحات لمقاومة تلفزيونات الخليج

للغزو الفكرى

الدكتور عبد الحليم عويس
أستاذ العلوم الاجتماعية فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
(الرياض)

أ- أساسيات فى نجاح الرصد و المقاومة :

بعد استيعاب تصور ضرورى لخريطة - الغزو الفكرى - لابد من إدراك أمور تالية :

١- إن الدفاع عن حقائق الاسلام لا يحتاج إلى (دعاية) . . بل يحتاج إلى (دعوة) صادقة المحتوى و المضمون . . . فالاسلام دين متين لن يشاده أحد بالعقل و المنطق إلا غلبه . . .

لكن فن التأثير يحتاج من الاعلاميين فى التلفاز إلى مراعاة أوليات فن التأثير الاعلامى ، من تكرار و إلحاح مستمر ومتجدد ، ومن توليد يستخرج الفكرة من الفكرة ، و من تذكير يهدف إلى بعث الفكرة و تجديد أساليب عرضها . . وكل الدعوات و المذاهب تراعى هذه الأوليات . . . . كما أن جاذبية (المرسل) و تمكنه ، و احترام عقل (المرسل إليه) و مطابقة حاله ، و تقديم (الرسالة) كاملة للشروط الاعلامية على الشاشة ، و الوعى بطبيعة (الوسيلة) الاعلامية (١) . . . كل هذا يضمن أكبر قدر من النجاح فى طريق مقاومة الغزو الفكرى . . .

(١) انظر - بتصرف - إبراهيم سرسيق : أصول الاعلام الحديث ص ٨٧ و ما بعدها .

٢ـ و من البديهى أن التلفزيونات الخليجية ـ و هى تخطط لمقاومة الغزو الفكرى ـ واعية بأنها تقاوم غزواً ماكراً خبيثاً يخفى ملامحه بكل الطرق . فهى قد لا تهاجم الاسلام صراحة و لكنها تقدم ترويجاً لمنهجها ، و تشويها لمناهج غيرها ، و لا سيما المنهج الدينى و الاسلامى ، و هى تصور غيرها و المسلمين بخاصة على أنهم أجناس مختلفة متواكلة مسرفة . كما أنهم يصورون رجال الدين عندهم بصورة مزرية ، موحية بأنه لا فرق بين دين و دين .

و من خلال التكرار و الالحاح يقدمون النمط الأوربى و الأمريكى للحياة على أنه النموذج الأمثل للحياة .. و من المعروف أن هذه الدعاية للنمط الأوربى ترد فى كل أفلامهم و مسلسلاتهم مهما كانت عفويتها ، كما أن من المعروف أن عملية التقمص الوجدانى لدى الشعوب النامية تكون ظاهرة بشكل بارز فى تقليد هؤلاء الذين يعتقدون بتفوقهم و رقيهم (١) .

و على التلفزيون الخليجى أن يبين زيف هذه الدعاوى و يركز على تفسخ هذه المجتمعات وضياع شبابها و تفلك أواصر أسرها و ما وصلت إليه المرأة من ضياع و تمزق و هبوط بقيمتها الانسانية ، و كثرة الطلاق و العنف الاجرامى و عدم الأمن و الانتحار و غير ذلك من صور الانحدار التى تعانى منها هذه المجتمعات ، و على التلفزيون الخليجى أن يركز على الاحصائيات و الاستنتاجات الثابتة فى هذه المجالات والواردة من بلادهم هم ، دون أن ينسى تدعيم هذه الأمثلة بالتصور الاسلامى المستقى من السيرة و القرآن الكريم (٢) .

٣ـ و يجب أن يكون واضحاً لدينا أن ما يجوز لهؤلاء فى بلادهم قد لا يجوز

(١) انظر يحى بسيونى و عادل صيرفى : التلفزيون الاسلامى ٢٠٥ .

(٢) انظر المرجع السابع ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

لنا . . فالغربلة مطلوبة ، و دراسة أبعاد المضمون مطلوبة ، وقياسها على مشكلاتنا و مدى تأثيرها عليها أمر مطلوب كذلك . . . فان مسلسلات قد تبدو بريئة لأول وهلة لكنها فى الحقيقة سم قاتل بالنسبة لقضايانا المصيرية ، فالحلقات الأمريكية (هاى شبرال) التى تصور رجلا أبيض يريد فرض السلام على الهنود الحمر و اغتصاب أرضهم و تمدينهم (بالقوة) على الطريقة الغربية . . . هذه الحلقات ليست إلا تكراراً للدعاية الاسرائيلية فى الغرب و التى تقول بأنها جاءت إلى العرب الهمج لتفرض عليهم المدنية وتعيش معهم فى سلام، حتى ولو اغتصبت بعض أرضهم مقابل تمدينهم ! ! و من الغريب أن هذه الحلقات أذيعت فى التلفزيونات الخليجية و العربية ببراءة شديدة ! !

كذلك فان أكثر الأفلام المستوردة تجعل من الخارج على القانون بطلا ، و تقلل من قيمة حياة الانسان ، فهو لا يساوى إلا رصاصة فى بعض الأحيان ، و تزين صور الجنود المستعمرين ، وترسم الصورة النموذجية للبيت . . بأنه البيت المختلط اللاهى الذى لا يخلو من بار . . كما أن حياتهم الاجتماعية حافلة بالحانات و البارات و المواخير و أبطاله من المجرمين و سارقى البنوك و الهاربين من يد العدالة و نساء الليل الرخيصات (١) .

وبايجاز، فان الذكاء فى فهم أهداف الغزو الفكرى ووسائله و تأثيراته البعيدة و القريبة أمر ضرورى ، و يحتاج إلى رصد واع و نظرة شاملة .

برامج تلفزيونية مقترحة لمقاومة الغزو الفكرى :

إن البرامج التى يمكن أن تقترح لمقاومة الغزو الفكرى كثيرة . . . فكل الأفلام و التمثيليات و المسرحيات و نشرات الأخبار و المباريات الرياضية والبرامج الثقافية فضلا عن الدينية المباشرة ـ صالحة لمقاومة الغزو الفكرى . . . و القول

(١) انظر المرجع السابق ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

بأن مصطلح « البرامج الدينية » ينحصر فى عدد محدود من البرامج تحمل هذا الاسم أو نحوه بطريقة تقريرية مباشره أمر لن يؤدى إلى الثمرة المرجوة . . فكل البرامج يجب أن تدور فى أهداف واحـــدة حتى و إن كان ظاهرها الترويح أو التثقيف أو الرياضة . . . هكذا يفعل اليهود فى إعلامهم . . . و هكذا يفعل الشيوعيون فى إعلامهم . . . ونحن المسلمين أولى منهم . . . بل إن طبيعة ديننا لا ازدواجية فيها ، فهى أوجب و آكد .

و من البرامج و التوجيهات التى نقترحها البرامج والتوجيهات الاعلامية التالية:

١ – فى البرامج الاخبارية (نشرات الأخبار والتعليق عليها و تحليل بعضها) يركز على ما يحدث فى أى بقعة من بقاع العالم على ما تقوم به هذه الاتجاهات من تخريب و تدمير مادى و أخلاقى و ما تقوم به الحكومات تبعاً لذلك من إغلاق لبعض المحافل الماسونية و غيرها و قبض على الأعضاء و محاكمة لهم و ما إلى ذلك ، و أن يتم الربط فى التحليل و التعليق بين ما يحدث فى مكان و ما يحدث فى مكان آخر ، سواء اتحد الزمان أم اختلف .

٢ – كما يجب التركيز فى هـــذه البرامج الاخبارية على موقف الكنائس العالمية والفاتيكان وبعض الشخصيات اليهودية من هذه الاتجاهات و التحذير منها.

٣ – كذلك ينبغى التركيز على كشف العلاقات الخفية بين زعماء الأندية المشبوهة و المحافل و بين العصابات الدولية التى تعمل على تهـــديد الدول و ترويع الآمنين و ترويج المخدرات .

٤ – و يجب الكشف عن مصادر التمويل و عن الوثائق والخطط ، و أن يحظى هذا الجانب بمثل ما تحظى به أخبار الرياضة فى التلفزيون على أقل تقدير ، و لا بد من الاعتماد فى هذا على ما تذيعه وكالة الأنباء العالمية المشهورة و ما يصدر ضدهم من أحكام و أن يشفع هذا بالصور الحية .

٥ – و يجب نشر ما تتعرض له الأقليات الاسلامية من صور الاضطهاد و الغزو من قيم الأكثرية فى بلادها .

٦ – وفى البرامج الثقافية (الندوات والأحاديث) .. الخ ، يجب الكشف الدائم عن تاريخ هذه الاتجاهات القديمة وخطرها على المجتمعات فى الشرق والغرب و ما قامت به الحكومات ضدها ويجب الكشف عن الوجه القبيح المستتر تحت دعاوى الشعارات البراقة (الحرية و المساواة) و تحت ستار خدمة المجتمع ، و يجب الاعتماد فى هذا على عرض بعض الكتب المتخصصـــة للكتاب عالميين مثل (أحجار على رقعة الشطرنج) .

٧ – يجب استضافة المتخصصين فى هذه الموضوعات من شرق و غرب ، وترجمة ما يكتب و تقريبه للناس و الربط بينه و بين ما يحدث الآن و الكشف عن خدعة تغيير الأسماء من ماسونية إلى روتارى و ليونز و غيرها .

٨ – كذلك يجب التركيز على موقف اليهود خاصة و بعض النصارى من دعاوى العلمانية و رفضهم لها و التمسك بدينهم و تراثهم فى التربية و التعليم و تنشئة أولادهم على تقديس الدين و إقامـــة مدارس خاصة بهم حتى لا يندمجوا فى التعليم العلمانى .

٩ – و يجب فى البرامج الثقافية متابعة الدعاوى التى ترفع فى أمريكا خاصة ضد بعض النظريات المقررة على التلاميذ و هى مضادة للدين مثل نظرية التطور و موقف القضـاء منهـــا ، و مثل الفصل بين البنات و الأولاد فى التعليم و التوسع فى هذا . . الخ .

١٠ - و فى البرامج التمثيلية يمكن الاستعانة بكتاب القصص و الروايات والتمثيليات و المسرحيات فى إعداد أعمال فنية جيدة تدور حول شخصيـــة حقيقية من

مبادىء و اقتراحات لمقاومة تلفزيونات الخليج . . .

هذه الشخصيات الهدامة تحت ستار خدمة المجتمع ، أو حول مجتمع ظهر فيه فساد أو اتجاه معين هدام بدعوى تقديم الخدمات و متابعة الجذور و الوسائل و الغايات و كشف أبعاد السرية الصارمة فى التنظيمات و التمويه و الخداع فى المذاهب حتى يكاد يصل الأمر إلى مداه ، ثم انكشاف البعد الهدام للحكومة أو للناس وردود الأفعال العنيفة من سجن ومصادرة وإغلاق للنوادى و قتل . . الخ ، على أن تقوم هذه الأعمال على حقائق تاريخية موثقة يعدها متخصصون فى هذا التاريخ الهدام ، ثم يقوم الأدباء و فنانو السيناريو بمزجها بالخيال و التحليل و التفسير حتى تكون الأعمال مقنعة فنياً و مفيدة فى إصابة الفرض ، (و لعل قصة اكتشاف الماسونية فى إيطاليا بعد وصولها إلى قمة السلطة و ما تبع ذلك من إجراءات) تصلح نموذجاً لمثل هذه الأعمال ! !

١١ - عقد ندوات حول قضايا الحركات المشبوهة والمذاهب الالحادية و الانحلالية المعادية يتحدث فيها أكثر من متكلم ، و يستعان فيها ببعض وسائل الايضاح و تقدم فيها بعض الكتب المتصلة بها .

و حبذا أن لا يعرض الكتاب بطريقة مباشرة بل . . . يتم تقديم موجز للتعريف به و بموضوعاته . . . ثم يجرى حوار حول موضوعاته مع بعض الأساتذة المتخصصين .

١٢ - عمل تمثيليات تصور حقيقة هذه الحركات . . . و ذلك بأسلوب درامى واقعى . . و سوف نجد الكثيرين الذين يحولون بعض الأعمال العلمية عن هذه الحركات إلى تمثيليات و إخضاعها للسيناريو و الحوار .

١٣ - عمل دائرة معارف (الحركات الهدامة) و الأديان المعادية و الحركات الباطنية . . وتقدم على غرار ما تقدم فى التلفزيون لدائرة المعارف البريطانية .

١٤ - عمل قاموس (أعداء الاسلام) . . على الحروف الابجدية يعطى المادة الأساسية و المراجع الهامة عند كل قضية ! !

١٥ - أقترح استحداث برامج : باطل يزهقه الحق . . . يعالج قضايا الغزو الفكرى و أطروحاته ، و يرد عليها بالحقائق و التصورات الاسلامية .

١٦ - أقترح استحداث برامج تمثيلية لتعليم اللغة العربية بالكلمة و الصورة و المشهد التمثيلى ، و ذلك لأبناء اللغات الانجليزية و الفرنسية و الهندية و الأوردية و الفلبينية و الكورية و الفارسية ! !

١٧ - أقترح عمل برامج ميدانية مصورة للأقليات الاسلامية فى مواقعها ومؤسساتها و التعرف على مشكلاتها من خلال زيادات تلفزيونية لها . . . مع الحديث - بالكلمة و الصورة - عن اسهاماتها و تاريخها الحضارى ، و التعريف بها و ربطها بالعالم الاسلامى .

١٨ - أقترح عمل برامج كوميدية تمثل رجال الماسونية والروتارى و الليونز والأديان الأخرى على حقيقتهم . . . و تكشف حقيقة أفكارهم من خلال الكوميديا التمثيلية . . . و تتضمن التعريف بهم أيضاً .

١٩ - عمل برنامج (فتاوى المجامع الفقهية) يحصر الفتاوى التى صدرت عن المجمع الفقهى بمنظمة المؤتمر الاسلامى و رابطة العالم الاسلامى و فتاوى الرئاسة العامة للبحوث و الافتاء و الدعوة و الارشاد ، و فتاوى بقية دول الخليج ، بشأن الحركات المشبوهة و حكم الانتماء إليها ..

و الاقتراحات كثيرة . . . ولعل رجال الميدان التلفزيونى العاملين المخلصين أقدر عليها ، نظرياً وتطبيقاً منا . . و الله يهدى إلى الصواب ، ومنه العون و السداد .

مشاكل تدريس اللغة العربية فى الكليات و الجامعات الهندية و حلولها

بقلم : الدكتور عبد العلى
قسم اللغة العربية الكلية الحميدية الحكومية بوفال

يواجه تدريس اللغة العربية فى المدارس العربية (الاسلامية) القديمة بصفة عامة و فى الكليات و الجامعات الهندية بصفة خاصة مشاكل و معوقات لا يمكن الاستهانة بها ، و الاستخفاف من شأنها ، خصوصاً بعد أن سقط مستوى العربية فيها إلى حد بائس فى الوقت الحاضر ، فأصبح معظم خريجى الكليات و الجامعات لا يقدرون حتى على فهم اللغة العربية السهلة و التحدث بها ، كما لا يقدرون على قراءة الصحف و المجلات العربية و فهمها ، و بعضهم لا إلمام لهم بالعربية مطلقاً و هم يحملون شهادة « ماجستر » و « الدكتوراة » فى اللغة العربية وآدابها ، وبالجملة فان وضع العربية فى الجامعات الهندية أسوأ من أن يذكر .

ولعلنا لا نبالغ ولا نجافى الحقيقة إذا قلنا : إن العجز عن فهم العربية والتحدث بها ليس مقصوراً على الطلبة فحسب ، بل إن كثيراً من الأساتذة الجامعيين أيضاً لا يجيدونها ولا يبالون بممارسة الكلام بها ، أو بعبارة أخرى لا يشعرون بمجرد ضرورة التكلم بها ، فأصبحت حال العربية فى الجامعات كاحد نظريات علمية تدرس و لا تستعمل - فالمبالغ الهائلة من المال التى تنفق على أقسام العربيـــة فى معظم الجامعات الهندية تذهب أدراج الرياح ، لأنها لا تؤدى وظيفتها المنشودة ، ولا فائدة لمثل هذه « الأقسام » لبلدنا و لا لملتنا و لا لطلبتنا و لا لأى طرف آخر سوى أنها تتيح الفرص لبعض الفائزين بالشهادات الجامعية لشغل وظائف الأساتذة الشاغرة فيها ، و لهذا الاهمال أسباب عديدة نذكر بعضها فيما يلى :

(١) الاستغناء عن اللغة العربية فى أقسام الدراسات العربية والاسلامية !

كان و لا يزال الأسلوب التعليمى للدراسات العربية فى الكليات و الجامعات الحكومية متخلفاً جداً ، و نظام التعليم الرائج فى هذه الأقسام المنشأة على الطراز الغربى لا يشجع دراسة اللغة العربية إذ يختص هذا النظام بدراسة الأدب العربى لذاته ، ومعلوم ان واسطة التعليم فى هذه الجامعات « الانجليزية أو الأردية » بدلا من العربية ، فيكتفى الطلبة بدراسة مختلف أصناف الأدب العربى بواسطة تراجمها إلى الانجليزية أو الأردوية أو إلى لغات محلية أخرى كالآسامية والبنجالية أو للحصول على علامات ممتازة بأن يترجموا بعض النصوص العربية المقررة إلى الانجليزية أو الأردوية و أن يجيبوا على بعض الأسئلة عن تاريخ الأدب العربى أو نقده فى اللغة التى يختارونها كواسطة للتعليم ، ومن الغريب جدا أنه لا يطلب منهم أن يتقنوا اللغة العربية فهما و قراءة و كتابة و مكالمة حتى لنيل الشهادات الجامعية العليا فى اللغة العربية وآدابها بدلا من أن يكون ذلك بمثابة الشرط الأساسى للحصول على هذه الشهادات ، و مما يدل على عـــدم اهتمام هذا النظام باللغة العربية أن معظم البحوث و الأطروحات التى تقدم إلى الجامعات لنيل شهادة الدكتوراة تكون مكتوبة بالانجليزية أو الأردوية ، فلا غرو أنهم يكونون على العموم ضعافاً فى استخدام اللغة العربية كأداة التعبير كتابة و مكالمة ، و أكثرهم لا يقدرون حتى على قراءة النصوص العربية بدون الحركات ، و القليل النـادر منهم الذين يجيدون العربية و يقدمون أطروحاتهم فى العربية ، فيكون معظمهم من خريجى المدارس و دور العلوم القديمة ، و على رأسها جامعة ندوة العلماء بلكهنؤ .

فالفضل فى ذلك يعود إلى المدارس التى تخرجوا فيها ، لا إلى أقسام العربية

الجامعية التى التحقوا بها لنيل الشهادات العليا، فأصبحت البيئة والظروف غير مواتية لدراسة اللغة العربية فى الكليات والجامعات الهندية بسبب نظام التعليم الرائج فيها.

كذلك الفصل بين اللغة العربية و الدراسات الاسلامية فى العصر الحديث أيضاً أدى إلى سقوط مستوى العربية فى الجامعات الهندية التى توجد فيها أقسام مستقلة للدراسات الاسلامية حيث تدرس العلوم الاسلامية باسم « الاسلاميات » من المصادر الثانوية ولا من مصادرها العربية الأصيلة ، فيستغنى الطلبة و الأساتذة على السواء عن اللغة العربية حتى فى تدريس الدين الاسلامى الذى لا يمكن فهمه و فهم البحوث العلمية فيه إلا بواسطة هذه اللغة و إتقانها .

٢ــ مشكلة استصعاب الدراسة النحوية :

لا يزال منهج تعليم النحو العربى فى بعض الحالات غير طبيعى وصعباً جداً حيث يطلب من الطلبة أن يستظهروا معظم قواعد النحو والصرف اتباعاً للاسلوب القديم من غير عرضها على النصوص العربية ، و هذا مما يسبب النفور من اللغة حتى فى بعض الراغبين المجدين فى تعلمها بدلا من أن ينشئ فيهم الملكة اللغوية ، فيعزبون عن دراستها ، فمن اللازم أن يتبع الأسلوب المباشر لتعليم العربية حيث يقف الطلبة على تطبيق القواعد النحوية الشائعة الاستعمال من خلال النصوص بدون شق الأنفس وفقاً لما هو رائج فى تعليم اللغات الأوربية الحديثة ، فيقتدرون على التحدث بها ، و هذا مما يزيدهم رغبة فى قراءتها و دراستها ، و أيضاً يجب ألا يكلفوا تعلم التفاصيل المدققة للنحو العربى فى المراحل الابتدائية ، كما يجب الاستغناء عن الجدل النحوى العقيم ، والتمارين الخالية من الضرورة ، وجدير بالذكر بهذا الصدد أنه قد أدخل على قواعد اللغة العربية مئات و مئات من التعقيدات و الزايدات الوهمية العقيمة، خصوصاً فى تصريف الألفاظ المعتلة ، من قبل علماء النحو العربى ،

حتى إن كميتها تبليغ مئات و مئات من الصفحات ، و هذا مما جعل قواعد اللغة العربية صعبة على الطلاب ، بدلا من أن تسهل تعلمها عليهم ، فينبغى تقليم علوم اللغة و تخليصها من مثل هذه التعقيدات الوهمية التى لا فائدة منها ، و قد انتقد الأستاذ محمد خليفة التونسى هذه الغثاثات اللغوية بألفاظ تالية :

« لم يزعم أحد من علماء لغتنا أنه سمع من عربى - تؤخذ عنه اللغة - لفظ (بيع) أو (قول) فعلا ماضياً ، ولا يبيع و (يقول) ونحو ذلك مما يفترضه علماؤنا فى تصريف الألفاظ المعتلة ، فان فروضهم وهمية ، وهى فى خير أحوالها حيل تعليمية ، أدامهم إليها اجتهادهم الخاطئ حين قاسوا الكلمات المعتلة على الصحيحة ، و لا بأس عندنا من الحيل التعليمية إذا كانت تحل مشكلة أو تسهل صعباً و لو قامت على وهم .

« و خير من قياس الكلمات المعتلة على الصحيحة أن نجعل للمعتلة شواهد ، كما جعلنا للصحيحة شواهد ، للقياس عليها ، فنحن فى الأفعال الثلاثية الصحيحة نقول : باب (نصر) أو (ضرب) أو (علم) ، وصفة الفاعل على وزن (فاعل) وصفة المفعول على وزن (مفعول) ، فلنقل هكذا فى الأفعال المعتلة على اختلاف موضع العلة منها : فنقول مثلا ، باب (وقف) و (باع) و (قال) و (مشى) و (سما) و (سعى) ونصرف هذه الأفعال المجردة و المزيدة منها بحسب أزمنتها فى حال إسنادها إلى المتكلم ، و المخاطب و الغائب ، مفرداً و مثنى وجمعاً، كما نصرف منها صيغ الصفات للفاعل والمفعول ، وأسماء الزمان و المكان و الآلة، و نحو ذلك من المشتقات » (١) .

٣- قلة و عدم وجود الكتب المدرسية المناسبة :

ليس من شك أن معظم الكتب المدرسية داخل النصاب لا تهتم بخلق

(١) مجلة « العربى » الكويت ، العدد ٢٨٤ ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ١٦٣ .

الملكة اللغوية فى الطلبة ، بل هى مشتملة على مختارات من النصوص العربية القديمة بدون الاعتناء بذوقهم الأدبى و مستوياتهم اللغوية و ظروفهم الاجتماعية ، مثلا لا تزال ديوان الحماسة والمعلقات السبع وديوان المتنبى فى الشعر والمقامات للحريرى وبديع الزمان وغيرها فى النثر المصادر الرئيسية للنصوص المدرسية ، و إذ لاشك فى أهميتها اللغوية و الأدبية ، فانه من الغريب أن الطلبة لا يدرسون قبل هذه النصوص الرفيعة المستوى اللغوى نصوصاً عربية سهلة اللغة و الأسلوب ، فطبعاً لا يكونون مستعدين لدرسة هذه النصوص العصيبة ، فيزادون نفوراً من العربية ، وفضلا عن هذا كله تكون معظم الكتب المدرسية المطبوعة فى الهند رديئة الطبع و مملوءة بالأخطاء المطبعية ، فلا يجد الطلبة أية جاذبية فيها .

و الصعوبة الأخرى فى طريق تعلم العربية و تعليمها هى قلة الكتب المناسبة فى المحادثة العربية و عدم الاهتمام بها فى الكليات و الجامعات ، و بما أن الملكة العربية لا تأتى إلا بالمحادثة و الممارسة ، فمن اللازم وضع كتب عديدة للمبتدئين فى اللغة العربية تعتنى بايجاد ملكة التكلم العربى فيهم ، و ينبغى ان تكون دروسها منتزعة من صميم الحياة العادية التى يحيونها و أن تكون مكتوبة فى أسهل الألفاظ و الكلمات و أكثرها استعمالا ، وأيضاً أن تكون مطابقة لهوى الطلبة و طبائعهم كما ينبغى ان تلتئم مع أذواقهم و مداركهم .

و فى الهند قد سد الشيخ أبو الحسن الندوى هذا الفراغ إلى حد كبير بتأليف كتابين هامين فى هذا المجال ، هما قصص النبيين للاطفال فى خمسة أجزاء والقراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية فى ثلاثة جزاء ، وعلى الرغم من أهميتها اللغوية أنها لا تقضى على المشكلة من أساسها ، وحاجتنا إلى مزيد من الكتب العربية السهلة فى المحادثة لا تزال ملحة ، وما لم نتمكن من إعداد و وضع الكتب المناسبة فى

هذا المجال ، بامكاننا أن نبتدىء بتحصيل الكتب القصصية للاستاذ كامل كيلانى وإدخالها فى معاهدنا ، رأساً من المدارس الابتدائية إلى المستوى الجامعى ، كالكتب لتعليم القراءة العربية السريعة نظراً لما تمتاز هذه الكتب بالبساطة فى التعبير ، والصحة فى الألفاظ ، و الرقة فى التركيب ، و الدقة فى الأداء ، و السلاسة و السهولة ، مع اجتناب كل غريب و ناب ، و مع توخى التدرج بالطفل . هذه إلى الشكل الكامل — حتى يؤمن الخطأ — و الاكثار من الصور الجميلة المغرية بالقراءة (٢) و إن كانت هذه الكتب مكتوبة للصغار ، فانه لابد لكبار طلبة العربية الجامعيين من قراءتها لاشتمالها على فوائد لغوية شتى .

وبالاضافة إلى ما تقدم من ذكر مشاكل تدريس اللغة العربية وحلولها اقترح بالاختصار اتخاذ الاجراءات التالية لرفع مستوى العربية فى الجامعات الهندية .

١ـ الاهتمام باقامة النوادى و تعزيز النشاطات اللامنهجية و جعل العربية لغة التخاطب و التعامل فيها لخلق البيئة المناسبة لممارسة الكلام العربية .

٢ـ إزالة الجهل بأهمية اللغة العربية :

من الجدير بالذكر بهذا الصدد أن اللغة العربية قد أصبحت غير مقبولة حتى بين المثقفين من الهنود ، و خصوصاً الذين تثقفوا ثقافة غربية ، بسبب جهلهم بأهميتها و ثروتها الثقافية و العلمية الهائلة ، و مبلغ علمهم عن اللغة العربية هو أنها لغة القرآن و الحديث و الصلاة ، و لا علاقة لها بالعلوم و الفنون الحديثة ، فلا إلمام لهم على سبيل المثال ، بأن اللغة العربية هى اللغة « التى تلقت عنها أوربا علوم الطب و الفلسفة و الفلك و الكيمياء و الرياضة فضلا عن فنون

(١) إبراهيم عبد القادر المازنى فى « عبد الله البرى و عبد الله البحرى » للاستاذ كامل كيلانى ، ص ٢٤ ،

عديدة كفنون الطعام و الشراب و صنع العقاقير و الأدوية . . (٣) . و التاريخ شاهد بأن أوربا دخلت عصر النهضة من خلال تلك المعرفة الواسعة التى غطت كل مناحى الحياة ، و لكن معظم الناس بشمول المثقفين المتعصبين على العربية لا يعلمون شيئاً من هذا ، وفقا لما قيل : إن الانسان عدو لما جهل » ، لا يرى هؤلاء « المثقفون » أية فائدة من دراسة اللغة العربية سوى أنها لغة الدين ، فيقللون من شأنها و يسعون للاستغناء عنها حتى فى مجال الدراسات الاسلامية ، و طبعاً يتأثر الطلبة الناشئون بأفكارهم ، فلا يقبلون على دراسة اللغة العربية .

فوجب قبل كل شىء إزالة جهل الناس بأهمية اللغة العربية و بثروتها الثقافية و العلمية الهائلة ، ويمكن تحقيق هذا الأمر بعقد النوادى العلمية و بتأليف مقالات علمية من قبل العلماء المتخصصين فى العلوم العربية حول « فضل اللغة العربية على الحضارة الانسانية » و حول « ما فى دراسة اللغة العربية من فوائد » لا من وجهة النظر الدينية فحسب ، بل أيضاً من نقطة النظر الاقتصادية و الثقافية .

٣— تنظيم دورات لغوية للمبتدئين :

معلوم أن معظم الطلبة الذين يلتحقون بأقسام العربية الجامعية يختارون اللغة العربية كمادة لهم لأول مرة ، فطبعاً لا يمكنهم التحدث و الكتابة بها أو فهم النصوص العربية إلا عن طريق الترجمة ، فمن المستحسن أن تقام دورة لغوية لمثل هؤلاء المبتدئين فى اللغة العربية ، كما يقترح أن يكون المتخرجون فى المدارس العربية الدينية قد اجتازوا دورة لغوية فى اللغة الانجليزية أو فى إحدى اللغات الأوربية الحديثة الأخرى قبل التحاقهم بالكليات و الجامعات نظراً لما لهذه اللغات من أهمية بالغة و تأثير عميق فى اللغة العربية و أدبها الحديث ، و يمكن تنظيم

(٣) مجلة العربى ، العدد ٢٢١ ، الكويت ، ص ٣٠ .

هذه الدورات اللغوية عن طريق الأداغة و المحاضرات باستخدام الوسائل السمعية و البصرية مع التركيز على التحدث و الكتابة بها .

٤— تزويد أقسام العربية بالمطبوعات العربية الحديثة وبالجرائد والمجلات :

ليس من شك أن الكتب العربية الحديثة و المجلات و الجرائد المطبوعة فى البلاد العربية خارج متناول معظم الطلبة و الأساتذة فى الهند ، فيبقون غير مطلعين على الاتجاهات الجديدة فى اللغة العربية الحديثة و أدبها ، فلا تزال الصعوبة فى الحصول على الكتب و المجلات المطبوعة فى البلاد العربية هى المهمة الأخرى التى يواجهها أقسام العربية فى الهند ، و هذه مشكلة لا يمكن حلها إلا بالمساعدة الفعالة من قبل الحكومة المركزية .

٥— إختيار الأكفاء من المرشحين و تدريبهم على تعليم اللغة العربية :

كما تقدم ، يعد ضعف مستوى معلمى اللغة العربية من المشكلات الرئيسية التى تواجه تعليم هذه اللغة فى الجامعات الهندية ، فلحل هذه المشكلة ينبغى ألا يعين إلا الأكفاء من المرشحين للتوظف فى أقسام العربية وأن يعتبر المقدرة على الكلام و الكتابة بها من المؤهلات الأساسية عند اختيارهم كالمحاضرين و الأساتذة فى هذه الأقسام ، لكى يؤدوا رسالتهم كاملة ، كذلك تدريبهم على استخدام الوسائل الحديثة فى تعليم اللغات أيضاً ضرورية جداً لتسهيل دراسة هذه اللغة فى الكليات والجامعات .

٦— و أخيراً يقترح توفير الحوافز المادية و الأدبية للنابغين من الطلبة فى إتقان اللغة العربية كتابة و مكالمة ، و الاكثار من المنح و المعونات المالية لهم ، و إتاحة الفرص الكافية لأيفاد طلاب اللغة العربية و أساتذتها إلى البلاد العربية للدراسات العربية العليا و للتخصص فيها .

رد على قصيدة !

بقلم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
(الرياض)

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده . نبينا محمد و على آله و صحبه أما بعد :

فقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط فى عددها ٣٢٦١ فى ١١/ ٣/ ١٤٠٨هـ . قصيدة بعنوان « زيارة » بقلم خالد محمد محمد سليم ، هذا نصها :

عشت كل العمر . . أحلى العمر فى هذا المساء
عند ما صاح البشير و راح يصدح بالغناء
و أهلت بالسنا مشكـــاة نور الأنبياء
أى ريحان و روح . . أى سحب من بهاء
و رياض من نعيم . . و ضفاف من سناء
ههنا التاريخ قـد أضفى على ساح الولاء
ألقت الأيام و الأعوام ثوب الكبرياء
نور عينى يا رسول الله يا عين الرجاء
أنا بالباب مقيم . غاب فى الدمع ندائى
بأبى أنت و أمى . . يا حبيب الضعفاء
آه من لهفة حبى . . و حنينى و حيائى
هى ذى الأمة قد جاءتك من باد و نائى

أقبلت مهتاجة للاشواق فى عهد الوفاء
من لنا فى عاصف الأنواء . . فى ليل العناء
يا رحيما بالبرايا . . يا وفى الأنبياء
عنـــد بابك يا رسول الله عز العظماء
غمر الفردوس افراحا قلوب السعـــداء
و بكينـا و بكينـا . . و غرقنا فى البكاء
و نسيت الأهل و الأحبـاب و الدنيا ورائى

و من تأمل هذه القصيدة من أهل البصيرة علم أن نشرها غير جائز لما اشتملت عليه من اللجاء إلى الرسول ﷺ و الاستجاد به و طلب الغوث منه مما أصاب الشاعر وأصاب الأمة ، و لاشك أن ذلك شرك بالله عزوجل ، والواجب على كل من تنوبه حاجة أو ضائقة أن يرفع شكواه إلى الله سبحانه لا إلى الأنبياء و لا غيرهم من سائر الخلق من الأموات و الأصنام و الكواكب و لا الجن و غيرهم ، لأن الله سبحانه هوالذى بيده الضر و النفع و العطاء و المنع و كشف الكروب و إجابة المضطر ، و لا مانع من استعانة المخلوق بالمخلوق الحى الحاضر القادر فيما يستطيع مشافهة أو مكاتبة أو مكالمة هاتفية أو نحو ذلك من وسائل الاتصال الجديدة . أما الأموات من الأنبياء و غيرهم فلا يجوز الاستعانة بهـم ولا الشكوى إليهم لأن الميت قد انقطع عمله إلا من ثلاث كما جاء الحديث عن نبينا محمد ﷺ أنه قال « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقه جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم و معلوم أن نبينا محمداً ﷺ أفضل الخلق و أشرفهم أحياء و أمواتاً ، ومع ذلك لا تجوز عبادته لا فى حياته ولا بعد وفاته لأن العباده تختص بالله وحده دون غيره كما أمر الله بذلك بقوله

سبحانه ، فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ونهى عن دعاء غيره كما قال تعالى ، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ، و قال عزوجل ، يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، و قال عزوجل ، و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، الآية ، و الآيات فى هذا المعنى كثيرة ، وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال ، حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا بن شيئاً ، وفى الصحيحين أيضاً عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال ، أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، الحديث ، و الأحاديث فى هذا الباب كثيرة فالواجب على جميع المسلمين أن يحذروا الشرك بالله عزوجل و أن يتواصوا بتركه مع بيانه للناس والتحذير منه ، والواجب على جميع القائمين على الصحف من أهل الاسلام ألا ينشروا ما يخالف شرع الله عزوجل وأن يتحروا فيما ينشرونه ما ينفع الأمة ولا يضرهم فى دينهم ولا دنياهم ، وأعظم ذلك خطراً ما يوقع فى الشرك وأنواع الكفر و الضلال .

أصلح الله أحوال المسلمين و وفقهم وجميع القائمين على وسائل الاعلام لكل ما فيه صلاح العباد ونجاتهم وسلامة أمر دينهم و دنياهم ، إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد و آله وصحبه وسلم .

أكبر

ملحمة أفغانستان

للدكتور عدنان على رضا النحوى

يا ديار الأفغان ! يا قمم المجـــد ! حنين الآباء و الأجداد
كل يوم على مرابعك الحمـــر طيوف الأعراس و الأعياد
كل « زغرودة » تضم شهيـــداً لشهيد بموكب صعاد (١)
يا جبال الأفغان ! يا قلعة المو ت ! ويا حصن أمة و بلاد
عزمة من رجالها وهبتها منعة و الهدى وخفق صعاد (٢)
يا جلال الايمان بالله يعطى منعـــة فى مواقع و زناد
قمم المجد ! ما رأيتك إلا صاعدات إلى علا و ارتياد
وكأنى أرى الذرا وثبات فى سباق ولهفـــة و امتداد
لم تزل فى سباقها مشرقات عجز الشوق عن لحاق جياد
يا ربوع الأفغان ! إن هوانا شب فى صدقه وطيب مهاد
بيننا من وشائج الدين قربى و حبال متينة من وداد

(١) « زغرودة » : زغردت المرأة صوتها فى فمها عنـــد الفرح ، و المصدر « زغردة » ، و « زغرودة » هى اللفظة الشائعة فى الأفراح فى بلاد الشام ، و هى الواحدة من الزغردة ، وقال الزبيدى فى تاج العروس عن كلمة زغرد : « و قد استخرج لها بعض العلماء أصلا من السنة » .

(٢) صعاد : بالكسر جمع صعدة و هى القنـاة التى تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف .

أنت « أرض الشموس »، « لألأة النو ر »، نداء الوفاء، زهوة حادى (١)
أنت ميداننا الغنى عليه من عطاء التاريخ وفرة زاد
كلما مرت العصور عليه وهبته من طارف و تلاد
من سنا لؤلؤ وماسة « كوهى » و بريق نموج و اتقاد (٢)

(١) « أرض الشموس » : إن جزءاً من خراسان سابقاً يقع اليوم فى أفغانستان ، وكلمة « خراسان » معناها أرض الشمس .

« لألأة النور » : إشارة إلى الاسلام ، و إلى أن بعضاً من شعوب أفغانستان كان وثنياً يطلق السكان عليه اسم « الكفار » أو « الكافير » فاعتنقوا الدين الاسلامى لما أصبحوا جزءاً من الدولة الأفغانية فى القرن التاسع عشر فى زمن عبد الرحمن خان ، فسماهم « النوريين » (مواطن الشعوب الاسلامية — أفغانستان — محمود شاكر) — طبعة المكتب الاسلامى ص (٦٥) .

(٢) « ماسة كوهى » : وتسمى « كوهى نور » و هى ماسة مشهورة فى يد « نادر شاه » ملك الأفغان حين توجه إلى الهند ليقضى على امبراطورية المغول فى جيش عدده (٨٠ ، ٠٠٠) ثمانون ألف جندى ، فانتصر عليهم فى « كارنال » و وقعت بيده كنوز ضخمة و منها هذه الماسة العجيبة ، كما حمل معه « عرش الطاؤوس » الذى لا يزال فى طهران ويتوج عليه ملوك الفرس ، ثم استولى على هذه الماسة بعد ذلك « رنجيت سينغ » حاكم البنجاب حين طلب (شاه شجاع) حاكم أفغانستان مساعدته فخدعه وسرق الجوهرة ولم يسعفه (أفغانستان) .

وأعنى بهذا البيت أن الأيام قد تحمل لأفغانستان مثل هذه الماسة ولكن ماسة التقوى و الايمان أعظم بكثير حتى تبهت أمامها أى ماسة مهما كانت عظيمة .

فأتى « موكب الهدى » فحباها آية من جواهر و قلاد (١)
فحبت كل ماسة حملتها وزهت ماسة التقى و الرشاد
جوهر من روائع الحسن أخا ذ وآى ماض مع الآماد
أى حسن أجل من آى حق و كتاب و سنة و اجتهاد
فى محياك طلعة الحسن رفت و على معصم و فى أجياد
و على تاجك المنور غار من فتوح و حلية من جلاد
فاذا أنت يا ربوع عروس مهرها فى الوغى و فى استشهاد
و ليالى أفراحها خطرات بين ومض القنا و وقد زناد
أى نور سرى بأرضك يحيى مهجاً أسلمت لرب العباد
كل يوم نرى عطاءك فذاً فى ميادين حكمة و جهاد
فادفعيها على الميادين ، جلى من بطولاتها و من أمجاد
من إمام على « الحديث » مقيم و إمام على لسان الضاد
و رجال تخاطف الموت منهم أنفساً فى ملاحم و طراد
فاذا أنت مطمع لحسود و إذا أنت لهفة القصاد
فاملأى الأفق من رجالك هزى من جبال و زلزلى من أعادى
و ادفعى ثورة إلى الحق و ابنى شامخات على الذرا و الوهاد
و اصهرى فى لهيبها « جنحة الشو ق » وضمى الأبناء فى الأكباد (٢)
و اجعليها برحمة الله صفاً لم تمزقه نزوة الحساد

(١) موكب الهدى : فتوح الاسلام و جيوشه .

(٢) « جنحة الشوق » : تعبير رقيق عما قد يحدث من خلاف غالباً ما يكون سببه الرغبات و الأشواق التى تجنح بصاحبها .

أنت أقوى من العدو و أعلى ... بيقين بالله ، باستشهـــاد
أنت روح سرى ، أعيدى إلينا ... نبضات العروق و الأجساد
أطلقى من أعنة جامحات ... أطلقى حمحماتها فى البوادى
أطلقيها أعنة تجتلى المجـ ... ـد على ساحة و فى أنجاد
أطلقيها فانها هى و النصـ ... ـر روى حومت على ميعاد
بشريات تطل من أفق دا ... م و من مطلع و من آماد
كم ترى ألجم الجياد هواناً ... ورمى قيده على الأزناد
و عدو ترى ، تسلل فينا ... بين لهو و فرقة و رقاد
كم تراه رمى علينا شباكاً ... و رضينا بما تحوك الأعادى
كم تراه يقلب المكر فينا ... و ترانا ننقاد أى انقياد
قد شكونا أمراضنا و تعبنا ... ورحلنا « لمجلس » و « نوادى » (٧)
و بلونا من ذاك شر بلاء ... و حصدنا منه فراغ الأيادى
أيها الروس ! يا دعاة حضارا ... ت ودنيا « مبادىء » و « حيادى » (٨)
يا دعاة السلام ! أ ين سلام ... مزقتـــه نوافر الأضداد
يا هلاك الشعوب ! يا فتنة النا ... س ! ضحايا الغرور و الالحاد
قد بلونا سياسة « الغرب » حتى ... قيل فى « الشرق » ثورة و أيادى

(٧) « مجلس » : مجلس الأمن ، نوادى : هيئة الأمم المتحدة و مجالسها فهى ليست أكثر من ذلك .

(٨) اعتاد السوفياتى أن يخدع الناس بشعارات « السلام » ، « والعدل » ، وحقوق العمال » ، و غير ذلك ، كما اعتاد العالم الغربى أن يخدع الناس بشعار « الديمقراطية » .

فأنشى جاهل يهدهده الظا ... ن و يرميه فى سراب بادى
و إذا كلكم عصابات إجرا ... م و دنيا مصالح و فساد
كلكم يدعى المبادىء و العد ... ل و يجرى الهلاك بين العباد (١)
بين حمى مجنونة من حديد ... و هـــدير مروع الأبعاد
وهى تنقض كالردى يسحق الأر ... ض و نار سريعة الأرفاد
تملأ الأفق ، يا لهول زحوف ... و حشود كأنها من جراد
أو كأن السماء تهوى على الأر ... ض وتلقى من شعلة و سواد
لا ترى بعدها سوى هبوات ... من سواد و حفنة من رماد
وبقايا الأشلاء تسأل أين العدل ؟ ... أين الانسان ؟ أين المبادى ؟
لا ترى غير زحمة من وحوش ... و بقايا فريسة و اصطياد
لقنيهم - كما علمت - دروساً ... من فداء و آية من جهاد
و اعصفى فى وجوههم المو ... ت وصبى قذائفاً من عناد
حدثيهم عن « خيبر » ثم قولى ... لم تزل يا غزاة بالمرصاد (٢)
فعلى كل ذروة صيحة الحـ ... ـق و دعوى مكبر و منادى
و حماة كأنهم قدر المو ... ت لفاز وصعقة لمعادى
حطموا القيد ! يا لشر قيود ... ورموا من هوى و من أصفاد
و كأن التاريخ عاد غنياً ... زاخراً فى مواكب الزهاد

(١) قضايا العالم و مصائبه و جميع الفتن و النكبات هى ثمرة الديمقراطية الغربية و الشيوعية الشرقية ، حتى أصبح الناس جميعهم فى شتى أنحاء الأرض بحاجة إلى الاسلام ، حتى ينجوا مما هم فيه من بلاء و عذاب .

(٢) « خيبر » : وادى مشهور فى أفغانستان .

طرحوا فتنة الحياة وهبوا لجنان ندية الأوراد
كم فتى مقبل ألح به الشو ق فألقاه فى ليال شداد
صابر ، كلما تلفت لانت بين عينيه فرجة من وهاد
حذر الخطو ، ثابت القلب ، وثا ب إلى همه ، شديد العناد
طلعة تجمع السماحة و الحز م و عزم يشد من أزناد
و محياه دفقة النور ، عينا ه بريق الصقور و الآساد
و خطاه كأنها وثبة الفهـ ـد وخطف من بارق صعاد
و فؤاد كأنه مهجة الليـ ـث و رأى من حكمة و سداد

يا لنصر رأيتـه بفؤادى مشرق بين آية وجلاد
أقبلى و احملى البشائر للنا س و زفى عرائس الأمجاد
ستظلين فى فم الدهر لحناً عبقرى الهوى غنى الوداد
إنما النصر آية الله عهد منه للمتقين و العباد
فاسجدى واخشعى أنيبى إلى الله على خشية و ذكر معاد
واستريدى بما حملت على الساح نقاء من عدة و عداد
و انثرى الورد ملء كفيك هاتى نفحة الطيب زينى كل ناد
و أعيدى القصيد فى مهرجان رف من عرسه و من أعياد

تعريف بكتاب صدر من مكتبة المنار بالكويت :

أحكام السجن و معاملة السجناء فى الاسلام

للدكتور حسن أبو غدة

و هو كتاب جدير بكل اهتمام لأن موضوعه جديد ، ولم يبحث بمثل هذا الأسلوب العلمى و الميدانى الذى أعطى تصوراً جلياً واضحاً ، لما كان عليه السجن عند المسلمين بالمقارنة إلى ما عليه السجن عند غيرهم ماضياً و حاضراً .

و هو يستجيب لحاجة ماسة فى المجتمع اليوم ، ليبرهن على حيوية الفقه الاسلامى و على السبق الذى حظى به المسلمون فى حل كثير من القضايا ، التى يظن أن المجتمع الانسانى لم يحلها إلا فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة الفرنسية .

إنه كتاب فقه عملى متميز ، رصد الأحداث واستقصى النصوص ، واستفاد من الواقع المشهود فى دنيا السجون ، و قد ذيلت كثير من أبحاثه بمواقف الأعلام ، و إجراءات الحكام الصالحين من سلف هذه الأمة ، و مستلطفات من الشعر و الأدب ، و إشارات من علم النفس و الاجتماع مما يسر للقارىء الاسترسال فى قراءته .

و قد قام الكتاب على مقدمة و أربعة أقسام و خاتمة :

المقدمة : فى العقوبة و أنواعها ماضياً و حاضراً .

القسم الأول : فى السجن (تاريخه ، مشروعيته فى الاسلام ، أنواعه ، جرائمه) .

القسم الثانى : فى السجون (نشأتها ، تصنيفها ، الانفاق عليها عند المسلمين و غيرهم) .

القسم الثالث : فى معالجة السجين (العناية بصحته ، تعليمه ، تشغيله ، علاقاته الاجتماعية داخل السجن وخارجه ، معاقبته وأنواعها وحدودها ، تصرفاته الدينية و المدنية ، إخراجه من السجن و دمجه فى المجتمع) .

القسم الرابع : فى إدارة السجن (الهيئات المسئولة و نشاطاتها ، صفات السجان عند المسلمين و غيرهم ، مراقبة الدولة السجون و حمايتها السجناء) .

الخاتمة : فى محاسن السجن و مساوئه .

و قد عرض المؤلف فى الكتاب ألوان الحبس فى القديم و الحديث ، عند الفراعنة و اليونان و الهنود ، وعند الروم و الفرس ، وعند العرب وغيرهم ، ثم فى الاسلام حتى العصر الحديث ، و رسم ما تخللها من مآس و مخازى ، وبخاصة فى الباستيل فى القرن الثامن عشر ، وقارن ذلك بما كان من مآثر الحكام المسلمين المصلحين ، حتى ظهرت الحركات الاصلاحية الأخيرة للسجون .

كما استقصى أو كاد النصوص الاسلامية التى تقرر أن الغاية من الحبس الردع و الاصلاح لا التنكيل و الاهمال ، كما جمع جرائم السجن التى كانت منتشرة فى المجتمع الاسلامى ، و الأحكام المتصلة بالسجناء من حيث العبادات و التصرفات المالية و الجنائية و الأخلاقية ، و ما يتعلق بالأمور القضائية و الأحوال الشخصية .

و استعرض تاريخ السجون قبل الاسلام و بعده ، و ذكر سجون الجزيرة

و اليمن و العراق و الشام ، حتى وصل إلى سجون مصر و المغرب و الأندلس ، و كتب عمن سجن فيها من المشهورين ، و طرح صوراً وعبراً قيمة من التاريخ .

و تناول المؤلف هيئة أبنية السجون عند المسلمين و غيرهم ماضياً و حاضراً ، و ما لاحظه المسلمون فيها من اتساع و إضاءة ونظافة و توفير المرافق و الخدمات الأخرى ، وبين اهتمام المسلمين بتصنيف السجناء و السجون بحسب الجنس والعمر و الجريمة و مدة العقوبة ، و تقسيم السجون إلى مدنية و عسكرية و سياسية ، فى وقت كان غيرهم لا يفرق فى المعاملة بين المحبوسين للاحتياط و بين المحكومين المجرمين واللصوص ، بل لم يكن هناك اعتبار عندهم لتصنيف السجناء بحسب جرائمهم و سلوكهم و أعمارهم حتى أواخر القرن الثامن عشر .

هذا ، ومما زاد فى أهمية الكتاب زيارة المؤلف لبعض السجون ، واطلاعه على مجريات الأمور فيها و مقارنتها بالنصوص الشرعية و القانونية .

و كان من دأبه الموازنة بين أهداف السجن و وسائله عند غيرهم فى القديم و الحديث ، و إبراز مدى اهتمام المسلمين برعاية السجناء و تعليمهم و تشغيلهم و إصلاحهم و الاشراف على أسرهم .

وفى الكتاب دراسة ومعالجة لبعض المسائل المعاصرة : كاضراب السجين عن الطعام ، وحقه فى الاطلاع على وسائل الاعلام المقروءة و المنظورة و المسموعة ، و حق السجين فى الخلوة بزوجته فى السجن و نحو ذلك من المسائل المهمة .

و فى الخاتمة : ناقش المؤلف بأسلوب علمى منصف الانتقادات الموجهة للسجن : كتعويق الانتاج ، وإفساد السجناء بعضهم بعضاً ، وإرهاق خزانة الدولة ، و الاضرار بأسر السجناء ، و الاصابة بالأمراض النفسية . . . و قد فندها كلها و أرجعها — بحق — إلى القوانين الوضعية ، التى ازدادت فيها أهمية السجن فى

القرون الأخيرة ، حتى صار العقوبة الوحيدة المعمول بها أو يكاد . بينما هو فى الاسلام عقوبة احتياطية اضطرارية من بين خمس عشرة عقوبة تعزيرية أخرى ، تأتى بعد مرتبة الحدود و القصاص .

ولقد أنصف المؤلف بعرضه محاسن السجن و فوائده ، و أيد ذلك بالمنقول عن المجوسين فى القديم و الحديث ، و من تلك المحاسن : التعقل و الرشاد ، و إدراك قيمة الحرية ، و اكتساب المهن المفيدة ، و التفرغ للتعلم و العبادة ، و استصلاح الجناة المنحرفين ، و منع شر المجرمين عن المجتمع .

و بجمل القول : إن الكتاب يكشف عن كثير من المبادىء و القواعد و النصوص و الوقائع الاسلامية المقررة منذ مئات السنين ، و التى تلتقى معها المعانى و المبادىء الملاحظة و المرعية عند رواد المدنية الحديثة و فى سجون القرن العشرين .

هذا ، و قد وقع الكتاب فى نحو سبعمائة صفحة من القطع الوسط ، و قد جمعت مادته من المصادر العلمية القديمة ، و المراجع الحديثة الموثوقة ، وقد قرظه عدد من الفضلاء المختصين فى الشريعة و القانون ، و هو بهذا كله يستحق القراءة ، و يستحق التبصر ، و الله ولى التوفيق . . .

الناشر :

مكتبة المنار الاسلامية - الكويت

حولى - شارع المثنى

هاتف ٢٦١٥٠٤٥ - ص . ب ٤٣٠٩٩

الرمز البريدى ٣٢٠٤٥

بيان قيادة الاخوان المسلمين فى سورية

حول المفاوضات مع النظام

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد ، وعلى آله و صحبه أجمعين .

أيها الاخوة الأحبة ، يا أبناء شعبنا الأبى فى سورية !

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، و بعد !

فان جماعة الاخوان المسلمين ، التزاماً منها بالمسؤولية الشرعية ، تجاه أبناء سورية الذين يعيشون كل أشكال المعاناة ، تحت وطأة مختلف ألوان القهر والاستلاب الروحى و النفسى و الجسدى . . و انطلاقاً من إيمانها بالحوار وسيلة لتحقيق الأهداف ، و تنفيذاً لقرار مجلس شورى الجماعة . بدراسة عرض النظام السورى للتفاوض ، و التثبت من جديته . . فقد قامت بجولة من المفاوضات مع النظام ، أجرى فيها وفد الجماعة حواراً مع وفد السلطة ، خلال عدة لقاءات .

و قبل أن نعرض عليكم خلاصة هذه اللقاءات ، نشير إلى أن مبدأ الحوار و التفاوض مع النظام ، للوصول إلى حل كريم يحقق آمال شعبنا ، هو مبدأ شرعى و سياسى صحيح ، و هو لا يعنى الخذلان و الاستسلام للباطل ، و التخلى عن طريق الدعوة والجهاد ، إذ أن الجماعة فى الأصل حريصة على تحقيق أهدافها المشروعة ، عن طريق العمل السياسى و الحوار الايجابى ، و ما لجأت إلى حمل السلاح إلا بعد أن أعيتها الوسائل ، و سدت أمامها السبل .

و إذا كانت تجربتنا مع النظام السورى فى الماضى لا تشجع على الاستجابة لعروضه المتكررة ، فان إلحاح النظام على إعادة فتح الحوار ، و إظهار استعداده

لاعادة الحياة الحرة الكريمة للشعب ، و إنهاء حالة الصراع القائمة ، دعا الجماعة إلى الاستجابة لهذا العرض ، إعذاراً إلى الله ، وإقامة للحجة عليه أمام الناس ، ولعله قد تاب إلى العدل والحق ، دون أن تؤثر هذه الخطوة فى سيرها لتنفيذ خطتها فى المواجهة و متابعة الاعداد .

ولقد كان موقفنا واضحاً صريحاً ، عند ما طالبنا فى هذه الجولة ، بحل شامل و معالجة جذرية ، للأسباب الحقيقية التى أوصلت البلاد إلى الهاوية التى تعيش فيها ، و ألجأت جماهير شعبنا إلى حمل السلاح ، دفاعاً عن عقيدته وحريته وكرامته . إذ لا بد من إطلاق الحريات العامة ، و احترام إرادة الشعب و حقه فى حياة حرة كريمة ، يتمتع فيها كل مواطن بحقوقه الشخصية و السياسية ، كاملة غير منقوصة ، و هذا لا يمكن أن يتوافر إلا فى ظل مصالحة وطنية حقيقية ، على أساس احترام قيم الاسلام وشعائره ، والحريات العامة ، و المساواة بين المواطنين ، و حرية العمل الاسلامى ، و اتخاذ كافة الخطوات العملية ، الكفيلة بتحقيق هذه المطالب ، التى طالما نادى بها شعبنا فى سورية ، وقدم من أجلها التضحيات الجسام .

إلا أنه تبين لنا من خلال هذه الجولة ، أن النظام فى سورية ، ما زال على صلفه ، مصراً على بغيه و عدوانه ، بعيداً عن تحقيق آمال شعبنا و تطلعاته ، و أن الفجوة واسعة بين ما يصبو إليه شعبنا ، و بين السياسة التى ما يزال النظام مصراً على الاستمرار فيها ، رغم كل ما جرته على البلاد و العباد ، من دمار و خراب . . .

ونتيجة لهذا الموقف المتعنت من النظام ، كان لا بد أن تنتهى هذه الجولة من المفاوضات دون الوصول إلى حل ، ذلك أن الجماعة و هى تستشعر مسؤوليتها تجاه الشعب السورى و معاناته ، و تجاه الآلاف من المعتقلين من الشيوخ والنساء و الشباب . . و واجبها فى تخليصهم من المآسى الرهيبة التى يعيشونها ، لتدرك

أيضاً ، أن حرصها على القيام بهذا الواجب ، لا يجوز أن يدفعها إلى التفريط بحق شعبنا فى الحياة الحرة الكريمة ، التى سقط من أجلها الشهداء ، و اعتقل من أجلها المعتقلون ، و شرد من أجلها المشردون . .

إن جماعة الاخوان المسلمين ، التى تحمل النظام السورى ، مسؤولية الأوضاع المتردية فى سورية ، و تحمله مسؤولية استمرار هذه الأوضاع ، لتعلن على الملأ أنها ستظل - بعون الله - أمينة على هذا الوطن ، لا تفرط بأى حق من حقوق أبنائه ، وفية لدماء الشهداء الذين مضوا على طريق الجهاد و التحرير ، ثابتة على هذا الطريق ، حتى يفتح الله بيننا و بين قومنا بالحق و هو خير الفاتحين .

يا أبناء شعبنا المصابر فى سورية ، أيها الاخوة الكرام ، لقد ضربتم بجهادكم أروع الأمثلة ، و قدمتم أغلى التضحيات ، و كنتم فى صبركم وثباتكم مضرب المثل و موضع التقدير و الاحترام . . و إن قيادة الجماعة ، إذ تضع أمامكم نتيجة هذه المفاوضات ، بصراحة وأمانة ، لهى على ثقة كاملة ، بأن هذه الخطوة ، وما انتهت إليه ، لن تزيدنا إلا ثباتاً على مبادئنا و دعوتنا ، و اعتزازاً بشعبنا وجماعتنا ، وثقة بعدالة قضيتنا ، و إصراراً على متابعة طريقنا ، طريق الجهاد فى سبيل الله ، و ما يقتضيه من إعداد و استعداد ، و لسوف تزداد رؤيتنا وضوحاً ، و صفنا وحدة و تلاحماً و عملنا دأباً و جدية . . و لا بدلنا و نحن نتعاهد على الصبر و الثبات و المضى فى طريق الجهاد ، من العودة الصادقة إلى الله عز وجل ، قاصم الطغاة و الجبارين ، و اللجوء إليه سبحانه مستمدين منه القوة و العون . . .

« و لينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » « يا أيها الذين آمنوا اصبروا ، و صابروا ، و رابطوا ، و اتقوا الله لعلكم تفلحون » . .

صور و أوضاع :

مرحباً بالغيرة الاسلامية

واضح رشيد الندوى

قبل بضعة أعوام تناقلت الصحف نبأ حادث مهيج مثير ، كان تجسيداً لشعور الغيرة و الحميـــة ، و تعبيراً عن الاحساس بالخذلان ، و الارادة لتغيير الوضع ، ومحو آثار المهانة ، و مؤشراً إلى تصعد الشعور بعدم الثقة فى النظم القائمـــة فى البلدان الاسلامية فى حل القضايا الحاسمة ، وإزالة آثار العدوان الذى يعتبر القضية الأساسية فى الدول المجاورة لفلسطين .

كان هذا الحادث الذى آثار أفراد الشعب و رجال السلطة ، حادث الهجوم على اليهود المتفرجين فى سيناء و قتل سبعة منهم ، و كان بطل هذه العملية سليمان خاطر الذى انفعل بتنزه هؤلاء المعتدين المغتصبين فى وطنـه ، بسلام ، و بغطرسة و كبرياء ، بعد الاعتداءات الوحشية على مخيمات الفلسطينيين ، و الغارات الجوية البربرية . و كان من الطبعى أن تثور فى سليمان خاطر هذه الغيرة ، و يندفع إلى أخذ الثأر ، والانتقام ، و كان لعمله مبررات كثيرة ، فان اليهود أنفسهم يؤمنون بالانتقام وقد اتخذوا قبل ذلك عدة اجراءات انتقامية ، من الاغارة على المطارات ، و قتل الركاب المسالمين ، و الهجمات الجوية على سكان المخيمات فى لبنان ، و اختطاف الناس من بيوتهم ، و اغتيال الشخصيات البارزة ، فى مراكز عملهم وفى الشوارع والاسواق ، وأيدتهم حليفتهم أمريكا ، و دول من أوربا المتحضرة فى هذه الاجراءات الوحشية التى وصفتها اسرائيل بأنها انتقامية ، و تقتضيها مصلحة سلامة اسرائيل فتتحمل اسرائيل كل مسئولية عن العمليـات الانتقامية التى تتخذ

ضدها ، و لذلك كان سليمان خاطر مصيباً فى انفعاله ، و كان معه الحق فى انتهاز فرصة تجول اليهود فى بلاده ساخرين ، و الوثوب عليهم ، لأن وجودهم فى تلك البلاد وجود غير شرعى .

لقى عمل سليمان خاطر الترحيب الحار من الأوساط العربية و الاسلامية ، و اعتبر بطولة صادرة من الوفاء للوطن ، و الأمة ، و علامة لعمل الغيرة ، و الأنفة ، و واجه سليمان خاطر البطل الشجاع مصيره الذى كان يتوقعه ، فقد انتقل إلى الدار الباقية فى ظروف لا يعلمها إلا الله ، ولكنه لا يزال فى ذاكرة كثير من أصحاب الغيرة ، و سيخلد فى التاريخ بهذه العملية الجريئة .

وقد وصف بعض الكتاب الأوفياء لاسرائيل هذا العمل بارهاب ، والواقع أن الحادث كان نتيجة لارهاب داخلى و خارجى و لم يكن إرهابا و إنما كان رداً على إرهاب فان المغتصب لا يتمتع بحقوق و لا حصانة فى أى دستور .

و أخيراً ، و ليس أخراً ، ظهرت عملية انتقاميـــة أخرى تدل على نفس الشعور بالغيرة ، و الارادة ، و تحرك الضمير الحى ، فقـــد دخل شاب فلسطينى مجاهد فى اسرائيل بطائرته الشراعيـــة و قتل ستة من اليهود المغتصبين فى بلدهم ، فسجل صفحة جديدة للغيرة و الشهامة ، و الفداء ، و أثبت أن الشـاب المخلص الوفى لبلده ولأمته ، ولقضيته ، يستطيع أن يحقق بارادته ما لا يحققه جيش كامل من الجبناء ، وقد لقى هذا الشاب المجاهد ربه جزاء عمله ، مستبشراً ، وكان مؤمناً بهذه العاقبة ، و لـكنه خط الطريق للشباب ، و لقن درساً بأن الشعب الفلسطينى الذى يخذله قادته ، إذا ثارت فيه الارادة فانه سيأتى بالعجائب ، تحار عندها عقول العقلاء و القادة الذين يحبون السلامة و العافية .

إنها مظاهرة إرادة شخصية ، فلو عمت هذه الارادة فانها ستغير الخريطـــة و تمحو آثار العدوان ، و تسترد الشرف .

إن مثل هذه الارادة التى عمت الشعب بكامله، تتجلى فى أرض أفغانستان، حيث يواجه الشعب المجاهد أكبر قوة فى العالم وأقسى قوة فى العالم، أكبر عدداً وأقوى عدة من اسرائيل، لأن اسرائيل تستمد قوتها من الدول الأوربية، وتعتمد عليها فى جميع مرافق الحياة، و تؤمن سلامتها الدول الكبرى، و لكن روسيا قوة عالمية، و قد ملأت أفغانستان بجنودها، و أسلحتها، و لكنها لم تتمكن من الاستيلاء و تأمين سلامة جنودها.

لقد ضحى الشعب الأفغانى المجاهد بأكثر من مليون ونصف مليون شخص وتشريد ملايين أخرى، لكنه قتل مابين تسعين إلى مائة ألف من الجنود السوفيت وهو لا يحتفظ بعزمه و إرادته فحسب بل واثق بيوم نصره، وممتز بانتصاراته، وبخذلان عدوه، و قد أجبر هذا الشعب الأبى عـــدوه المتغطرس على البحث عن حل، و أجبره على الاعلان أنه عازم على الانسحاب، و ألجأه إلى أن يجد مخرجاً.

إن الجهاد الافغانى لم يضعف فى يوم من الأيام ولم يصب المجاهدين الوهن و لم يفل حدهم، بل يزداد نشاطهم و يتوسع، و ينـال القبول و الاعتراف، و يجذب الانظار و ينضم إليه الشباب من البلدان الأخرى، و خاصة من البلدان العربية شوقاً إلى الجهاد، وحنيناً إلى الشهادة، إنه الجهاد، وهكذا تفعل الارادة، و تثور الغيرة، و هكذا يعيش الشباب المسلم الأبى، فطوبى للشهداء، و مرحباً بأصحاب الغيرة.

إن الشعب العربى المسلم قد أنجب فى العصور الأخيرة البطل عبد الكريم الريفى، و الأمير عبد القادر الجزائرى و الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومجاهدين حرروا بلادهم من الاستعمار الغربى، فلا تعوزه هذه الغيرة و الشهامـــة و إنما يحتاج إلى توجيه سليم و تربية، و إعداد نفوس و غرس شوق الجهاد الحقيقى، فى سائر أنحاء العالم الاسلامى.

الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن فى ذمة الله

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن فى ١٨/ نوفمبر ١٩٨٧م المصادف ٢٥/ ربيع الأول ١٤٠٨هـ، إثر حادث اصطدام، فى أحد شوارع مدينة لكهنؤ، فانا لله و إنا إليه راجعون، و كان قد حضر إلى لكهنؤ للمشاركة فى برامج ندوة أدبية عقدتها رابطة الأدب الاسلامى فى مقرها الرئيسى بندوة العلماء، حول « حركة الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد الجهادية، و أثرها على اللغة الاردية و آدابها »، و بعد ما أسهم فى برامج الندوة بنشاطاته الأدبية المتعددة رأى أن يقضى وقتاً سعيداً بجوار أخيه الجليل و محبه سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى و يستشيره فى بعض مهامه العلمية و الأدبية، لذلك فانه انتهز الفرصة للاقامة فى مضيف ندوة العلماء وترويح النفس فى جوها من عناء المسئوليات و الأعمال، و فى خلال ذلك خرج ذات يوم إلى زيارة مركز علمى أثرى كبير فى المدينة يعرف باسم « فرنجى محل » إذ حدث ماحدث فى الطريق وفوجئ الناس بنبأ وفاته، و أصيبوا بصدمة عنيفة هزت المشاعر، و أقلقت القلوب.

كان الأستاذ صباح الدين مدير المجمع العلمى المعروف بدار المصنفين فى مدينة أعظم كراه الهند، و قد قضى فيه جل حياته فى الأعمال الأكاديمية و استطاع أن يؤلف كتباً ذات قيمة كبيرة حول الموضوعات التاريخية و الأدبية، وكان ذا اختصاص فى تاريخ الهند الاسلامى والفترة المغولية بالذات، فقد درس الموضوع بغاية من البحث و التحقيق و ألف فيه ما يربو على عشرين كتاباً عدا مؤلفاته الأخرى، و كانت له قرابة بعلامة الهند الكبير السيد سليمان الندوى، صاحب

السيرة النبوية و التحقيقات العلمية النادرة ، و هو الذى أشرف على تربيته العلمية و الأدبية و شغله بالكتابة و الدراسة و التحقيق فى دار المصنفين .

إنه قام بغاية من الاخلاص بخدمة « دار المصنفين » و أدى ضريبة الوفاء بعد وفاة العلامة السيد سليمان الندوى ، و ركز جهوده على ترقيـــة هذا المجمع باستشارة من سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و توجيهات منه ، و لما عين سماحته رئيساً لهذا المجمع وضع كل مؤهلاته و مجهوداته فى خدمته ، فكان لايقبل على عمل إلا بتوجيهاته وموافقته عليه ، فكان دائم الاتصال به فى السفر والاقامة لصالح « دار المصنفين » وتوسيع نطاقه وفوائده إلى ما يمكن ، فقد عقد ندوة الاستشراق و المستشرقين باشراف و توجيه منه فى عام ١٩٨١م ، فكانت أول ندوة علمية عالمية بموضوعها ، وحضرها عدد وجيه من العلماء المحققين من الهند و خارجها على السواء و أسهموا فيها بشىء كثير من الحيوية و النشـاط ببحوث علمية هادفة ذات قيمة و أهمية .

و الفضل فى نجاح هذه الندوة العالمية و أهدافها يرجع إلى سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، لأنه كان قد تبناها و عين لهـــا جهات و شخصيات وجهت إليهـــا الدعوة ، و وضع برامجها بنفسه ، و أشرف على جميع الاعدادات اللازمة لها هو وفضيلة الشيخ محمـــد الرابع الندوى عضو هذا المجمع و عميد كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء ، مما كان سبباً لاتساع نطاق هذه الندوة وعموم فوائدها العلمية وذياع صيت « دار المصنفين » إلى أنحاء العالم .

توفى الأستاذ صباح الدين رحمه الله ، و لكنه خلف وراءه آثاراً كثيرة من العلم و الأدب و الصحافة العلمية الراقية ، و دماثة الأخلاق و متانة التفكير ، و موضوعية الغرض و هدوء الطبيعة ، وترك فراغاً فى هذا المجال لايملأ بسهولة .

رحمه الله تعالى وأغدق عليه شآبيب الرحمة والمغفرة ، وجزاه بأعماله خير مايجزى عباده العاملين المخلصين ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

س ـ الأعظمى

ندوة علمية لرابطة الأدب الاسلامى

عقدت رابطة الأدب الاسلامى ندوة أدبية على مستوى الهند فى مقرها الرئيسى بندوة العلماء فى الفترة التى بين ١٨ - ١٩ ربيع الأول ١٤٠٨هـ (١١-١٢ من شهر نوفمبر ١٩٨٧م) .

وكان موضوع الندوة (حركة الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، وأثرها على اللغة الأردية و آدابها) رأسها سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، رئيس رابطة الأدب الاسلامى . وحضرها عدد وجيه من المندوبين من جامعات و مدارس و مراكز الهند العلمية ، ممن أسهموا فى برامج الندوة ببحوثهم وكلماتهم وكان لكلمة الرئاسة التى ألقاها سماحة الشيخ الندوى تأثير عميق فى نفوس الحاضرين ، ذلك أنه ألقى الضوء الساطع على حركة الامام الشهيد الجهادية وآثارها العميقة الخالدة على المجتمع الاسلامى وعلى اللغات والآداب ، وخاصة اللغة الأردية و آدابها التى كانت لغة النطق و التفاهم لدى الامام الشهيد و جماعته ، و أيد كلامه بالدلائل و الآثار التى لا تزال تتوافر فى الثروة الأدبية للغة الأردية ، وقد نشرت تفاصيل هذه الندوة فى صحيفة الرائد الشقيقة والملحق الأدبى للرائد بوجه خاص .

ندوة علمية عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية

عقدت الجامعة السلفية فى بنارس ، ندوة عالمية عن « حياة شيخ الاسلام ابن تيمية و مواقفه الخالدة » ، فى الفترة ما بين ٢٢-٢٤ من شهر نوفمبر ١٩٨٧م (٢٩ ربيع الأول و ١ - ٢ ربيع الثانى ١٤٠٨هـ) .

افتتحها معالى الأستاذ ضياء الرحمن الأنصارى وزير الحكومة المركزية برئاسة معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى حفظه الله تعالى ، مدير جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية بالرياض ، و ألقى فيها سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على

الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء العام بحثاً قيماً حول « مأثرة شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية الكبرى ، و التركيز على أن النبوة هى الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة » كان قد أعده خصيصاً لهذه الندوة باللغة العربية ، وترجمه إلى اللغة الأردوية الأستاذ نذر الحفيظ الندوى الذى ألقاه باللغة الأردوية فى إحدى جلسات الندوة ، و قد نال البحث إعجاب المستمعين وخاصة الضيوف العرب الذين شاركوا الندوة و على رأسهم معالى الدكتور التركى ، و سعادة الدكتور عبد الحليم عويس ، كما قرئت فيها رسالة معالى الدكتور عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الاسلامى .

و قد حضر الندوة وفد من جامعة ندوة العلماء و وفود أخرى من جامعات الهند الكبرى و المراكز العلمية مما أضفى على الندوة لونا خاصاً من الموضوعيـــة و التأثير . . . و تحولت الندوة فى ليلة اليوم الأول إلى حفلة عامة حضرها عدد ضخم من جماهير المسلمين ، و ألقى فيها سماحة العلامة الندوى كلمة توجيهية أعجب بها الناس و استفادوا منها على المستوى التربوى و الاجتماعى .

وأصدرت الندوة فى الأخير قرارات عديدة اختتمت بها برامجها العلمية والدعوية.

نهنئ المسئولين عن الندوة على نجاحها فى الهدف الذى تبنته .

ندوات ومؤتمرات حول قدسية الحرمين والحج فى الهند

انعقدت خلال شهرى نوفمبر و ديسمبر ١٩٨٧م — ربيع الأول و ربيع الثانى ١٤٠٨هـ عدة مؤتمرات وندوات حول قدسية الحرمين الشريفين والحج، أولها مؤتمر جمعية علماء الهند على مستوى عموم الهند ، الذى عقد فى دلهى فى ٨ / من شهر نوفمبر الماضى ، و فى ٢٩ من نفس الشهر عقدت جمعيـــة أهل الحديث المركزية لعموم الهند مؤتمراً إسلامياً عاماً فى دلهى حضره عدد كبير من العلماء و المفكرين و الكتاب و الصحفيين ، و فى ١٦/ من شهر ديسمبر ١٩٨٧م عقد مؤتمر كبير

عن قدسية الحرمين الشريفين فى مدينة لكناؤ تولت عقده « دار المبلغين » ذلك المركز الكبير لعلماء السنة و الجماعة الذى أسسه فقيد علماء السنة و الجماعة الامام عبد الشكور الفاروقى رحمه الله ، فى مدينة لكناؤ .

وفى الفترة ما بين ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٧م عقد مؤتمر وندوة عن قدسية الحج فى مدينة لكناؤ برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و قد أشرفت على تنظيم هذا المؤتمر العام لجنة قدسية الحرمين و كان المسئول الأول عن عقده الدكتور محمد يونس النجرامى أستاذ بالقسم العربى بجامعة لكناؤ باشراف و تعاون من سعادة الدكتور محمد رضوان العلوى رئيس القسم العربى و الأدبى بجامعة لكناؤ .

افتتح هذا المؤتمر الأستاذ عبد الرحمن نشتر الأمين العام للحزب الحاكم فى ولاية أترابراديش برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى رفع قيمة المؤتمر بكلمة الرئاسة القيمة التى أعرب فيها عن رؤيته نحو قدسية البيت الحرام و البلد الأمين ، و أكد أن مصير الدنيا كلهـــا مرتبط بهذا البيت و البلد ، فلنحذر كل الحذر عن تلويث هذه القدسية و العبث بها بأى أسلوب كان ، و قدر رأس جلسة الندوة الأولى سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوى أستاذ بجامعة أم القرى مكة المكرمة سابقاً ، وكان رئيس الجلسة الثانية الدكتور محمد راشد الندوى رئيس القسم العربى بجامعة عليكره .

كل هـــذه المؤتمرات و الندوات اتخذت قرارات حاسمة حول الموضوع و استنكرت تنظيم أى نوع من التظاهرات و المسيرات فى مكة المكرمة وفى أيام الحج بالذات ، مهما كانت من جهة أو شخصية أو حكومة .